

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
شعبة الآداب والحضارة
تخصص حضارة عربية إسلامية



مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الحضارة العربية الإسلامية
تحت عنوان:

# موقف المستشرقين من السنة النبوية
## ـ جولد زيهر أنموذجا ـ

من إعداد الطالبة:
ـ صغير نسرين

إشراف الأستاذ الدكتور:
ـ أحمد قريش

السنة الجامعية: 2011 م / 2012 م
1432هـ / 1433هـ

يا رب لا تدعني أصاب [illegible] نجحت، و لا أصاب باليأس إذا فشلت، بل ذكرني أن الفشل [illegible] هو التجارب التي تس[illegible]

أهدي ثمرة جهدي المتواضع [illegible] من علمني معنى [illegible] و الصبر، مصدر التربية و الإيمان [illegible] أبي الحبيب أسأل الله [illegible] بارك في عمرك و [illegible] استجابة لقوله تعالى: " و قل رب [illegible] ارحمهما كما ربياني [illegible]

إلى من تألمت فصبرت و ابتليت [illegible] و تكالبت [illegible] الحياة و سكنت الهموم قلبها فازدادت [illegible] الله عز و جل [illegible] رضا فوق الرضا و لتعلمي أن [illegible] و أن [illegible] كل شقاء [illegible] جنة الر[illegible]

إلى من كان [illegible] طيلة مشواري [illegible] خت[illegible]

إلى مثلي الأعلى [illegible] عبد [illegible]

إلى من [illegible]

إلى توأمة روحي [illegible] عبد القادر [illegible]

[illegible] حفيظة، هندة و هوا[illegible]

[illegible] من استهان يوما بقدراتي

صغير نسرين




# شكر و تقدير

الحمد لله الذي من علينا إتمام هدا البحث [illegible] لنا من

مساعدة و إرشاد، و من تم من الواجب علينا [illegible] من

كان لنا عونا و سندا في إنجاز [illegible]

و عليه نتوجه بفائق الشكر و خالصه إلى الأستاذ [illegible]

نصائحه القيمة و توجيهاته الحكيمة التي أنا [illegible]

لجنة المناقشة الدين نتشرف [illegible]

نشكر أيضا كل أساتذة النظام [illegible] و [illegible] الدين [illegible] على تصويبنا

طوال هده السنوات و على [illegible] الأستاذ الذي أنار لنا الطريق في الدراسة

[illegible] الدكتور: بومدين كروم.

# خطة بحث

ـ مقدمة:

الفصل الأول: ماهية الاستشراق

1-المبحث الأول: تعريف الإستشراق.

2-المبحث الثاني: نشأة الإستشراق.

3-المبحث الثالث: مراحل الإستشراق.

4-المبحث الرابع: أهداف الإستشراق.

الفصل الثاني: جولدتسيهر

1-المبحث الأول: حياته.

2-المبحث الثاني: مؤلفاته.

3-المبحث الثالث: منهجه في الدراسات.

4-المبحث الرابع: موقف العلماء منه.

الفصل الثالث: رؤية جولد تسيهر للسنة من حيث:

1-المبحث الأول: تعريفه للسنة النبوية.

2-المبحث الثاني:ثبوت السنة النبوية من حيث:

ـتدوين السنة النبوية.

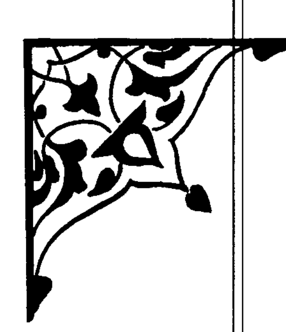
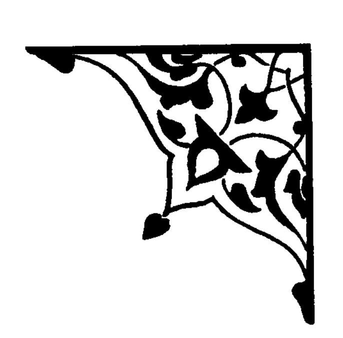
ـوضع الأحاديث.

3-المبحث الثالث: تطور السنة النبوية.

4-المبحث الرابع: حجج العلماء في الرد عليه.

-الخاتمة.


المقدمة

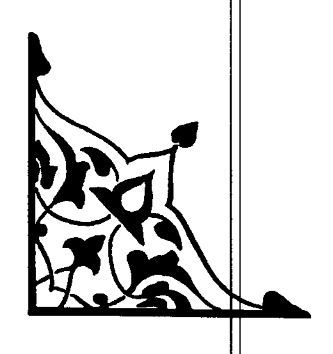
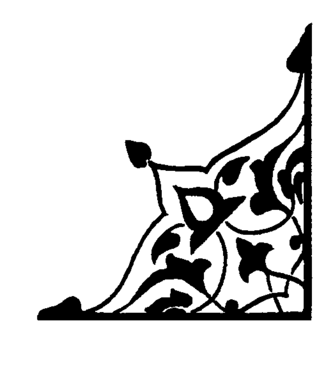
# الفصل الأول: ماهية الإستشراق.

1- المبحث الأول: تعريف الإستشراق.

2- المبحث الثاني: نشأة الإستشراق.

3- المبحث الثالث: مراحل الإستشراق.

4- المبحث الرابع: أهداف الإستشراق.

**المبحث الأول:**

**تعريف الاستشراق:**

هناك تعار يف عديدة للإستشراق، باعتباره علما أو منهجا أو أسلوبا في التفكير الغربي، فقد عرف الإستشراق بأنه منهج غريب في رؤية الأشياء و التعامل معها يقوم على أن هناك اختلافا جذريا في الوجود و المعرفة بين الغرب و الشرق وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري و الثقافي على الثاني[1].

و قد عرف تعريفا أكاديميا حيث قيل:"الإستشراق عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون في الدول الاستعمارية في الشرق بشتى جوانبه تاريخه، ثقافته، أديانه و لغته، نظمه الإجتماعية السياسية، وثرواته و إمكانياته من منطلق التفوق العنصري و الثقافي على الشرق و بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب و تبرير هذه الدراسات و بحوث و نظريات تتظاهر بالعلمية و الموضوعية[2].

و من الناحية اللغوية نلاحظ أن كلمة إستشراق مشتقة من مادة شرق يقال:"شرقت الشمس شرقا و شروقا إذا طلعت" و هذا ما جاء في المعجم الوسيط. و بالرجوع إلى المعاجم العربية المختلفة، غير أن هذا لم يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي إستنادا إلى قواعد الصرف و علم الاشتقاق حيث يبدو أن معنى إستشراق أدخل نفسه في أهل الشرق، و صار منهم، و يؤيد المعنى السابق ما جاء في معجم متن اللغة:"إستشرق طلب علوم الشرق و لغاتهم."[3]

كما أن مصطلح إستشراق عند العرب و المسلمين لا تخرج عن مفهوم دراسة الإسلام و ما يتبعه من لغات أهله و تواريخهم و مظاهر حضارتهم.[4]

**رأي العلماء العرب:**

يقول **الدكتور محمود حمدي زقزوق** في كتابه الإستشراق و الخلفية الفكرية:"الإستشراق هو علم الشرق أو علم العلم الشرقي و كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الغرب كله أقصاه و وسطه و أدناه، في لغاته و حضارته و أديانه....".[5]

---

[1] ـ سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ، ط1 ، 2033 م ، دار المناهج ، ص . 15.

[2] ـ المرجع نفسه ، ص. 15

[3] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الإستشراق اليهودي ، د ط ، 2008 ، دار الجامعة الجديدة ، ص . 05.

[4] ـ قاسم السامرائي ، الإستشراق بين الموضوعية و الإنتقالية ، ط1 ، 1983 م ، ص. 107.

[5] ـ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع ، الحضاري دط ، دت ، دار المعارف ، ص . 181.

أما المعنى الحاضر لمفهوم الإستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي، في لغاته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام، و هذا هو المعنى العام الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي، عندما يطلق لفظ الإستشراق و مستشرق و هو الشائع في كتابات المستشرقين[1]

أما **ادوارد سعيد** في كتابه الإستشراق فيميل إلى تعريفه بأنه:"أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة صياغته، تشكيله (فكريا و سياسيا)، و ممارسة السلطة عليه.[2]

و يعرفه **الدكتور أحمد غراب** بأنه:"دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام و المسلمين من شتى الجوانب عقيدة و شريعة، و ثقافة و حضارة، تاريخ و نظم وثروات و إمكانيات بهدف تشويه الإسلام، و محاولة تشكيك المسلمين فيه و تضليلهم عنه و فرض التبعية للغرب عليهم، و محاولة تبرير هذه التبعية بدراسات و نظريات تدعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري و الثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[3]

يتبين من خلال هذه التعاريف أن الإستشراق هو محاولة السيطرة على الشرق سواء أكانت السيطرة فكرية أم استعمارية، و لغرض تحييد التعاريف عن الأغراض و الأهداف و الوصول إلى المعنى الذي لابد من معرفته عن هِدا العلم الذي أشغل الجامعات و الجمعيات و المنتديات الفكرية في الغرب، و كان له الأثر الكبير في مديد العون إلى الغربي المستمر الذي استثمر هذا العلم للوصول إلى غايات[4]

فالإستشراق من هذا الجانب هو العلم الذي يدرس لغات الشرق و تراثهم و حضارتهم ومجتمعاتهم و ماضيهم و حاضرهم، و يدخل ضمن معنى الشرق أي منطقة شرقية، لكن المصطلح يعني هنا ما له علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر عليها العربية كاللغات الفارسية والتركية[5]

[1] د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الإستشراق اليهودي ، دط ، 2008، الجامعة الجديدة ،ص :06
[2] ـ سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ،ط1 ،2003م دار المناهج ص:15
[3] ـأحمد عبد الحميد عزاب ،رؤية إسلامية للإستشراق ،ط2 ،المنتدى الإسلامي .1411هـ ،ص:07
[4] ـ سعدون محمود الساموك (المرجع السابق ) ص :16
[5] ـ د/عبد الرحمن عميره ،الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الإستشراق ،ط1 ،1999.دار الجيل :ص :11

كما أنه يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و آدابه، و تاريخه وعقائده وتشريعاته، و حضارته بوجه عام[1]

و قد بدأت الدراسات تتسع و تستقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية و شؤون العرب بالدراسات العربية و يدعو المستشرقين المتخصصين بالعربية بالمستعربين. بدلا من الاستعراب التي تدل على العناية بالحضارة وحدها، و قد استخدمها العلماء و لكنها لم تشع شيوع نظيرتها[2]

يذهب **أحمد الإسكندري** و **أحمد أمين** في تعريفهما للمشرق بأنه: "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية و تقصي آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها و عاداتها و تاريخها و ديانتها، أو علومها و آدابها و غير ذلك من مقومات الأمم و الأصل في كلمة إستشرق أنه صار شرقيا كما يقال:" استعرب إذا صار عربيا[3]

و يقول **أحمد الشرباصي** :" المستشرقون قوم من أوروبا نسبوا أنفسهم إلى العلم و البحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ و الدين و الاجتماع، و لكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبانها من أمه، و أبيه و مجتمعه و بيئته، فصارت له: اللغة الأم، كما يعبرون فهو يغار عليها ويتأثر بها، و يستجيب لموحياتها و لكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق و علومه و آدابه[4]

و يشير **حسين الهراوي** إلى علم الإستشراق فيقول:"و عندي أن الإستشراق مهنة و حرفة كالطب و الهندسة و المحاماة و هو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير و لا يخفى عليك أن التاريخ الإسلامي ينقسم إلى قسمين: القسم الأول منه هو الإسلام من حيث هو دين و عناصره: القرآن و الحديث النبوي، و حياة سيدنا محمد-صلى الله علية و سلم-، و القسم الثاني منه هو تاريخ الدول العربية التي نشأت وعاشت في الإسلام، و هذا القسم قد خدمه المستشرقون حقا لأنه نوع من المباحث التاريخية الحرة،أما القسم الأول منه فهو بيت القصيد و لا يتصدى له المستشرقين و الذين

[1] - إسحاق موسى حسيني ،الإستشراق (نشأته ،تطوره ،أهدافه ) مطبعة الأزهر /1387هـ .1967 م ص :17
[2] - د/ أحمد سمايلوفتش ،فلسفة الإستشراق ،ج1 ،ط2002،1،ص27
[3]- مأخود عن : د/ أحمد سمايلوفتش، ص27 .
[4] - د/ أحمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، ص6 .

يتصدون له ترى كلامهم مملوءا بالتشكيك و الاستنتاج الخاطئ و اللمز إن لم يكيلوا التهم جزافا و يرموا الدين الإسلامي بما شاعت عقائدهم الخاصة و فائدتهم المادية[1]

و يتطرق **محمد عبد الغني حسن** لعلم الشرق قائلا:" الإستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بلغات الشرق و حضارته، و فلسفاته و أديانه، و روحانياته،و أثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله."[2]

إن استخدام مصطلح الدراسات الشرقية يتسم بالغموض و التعميم، حيث ما زالت الكتب تكتب والمؤتمرات تعقد حول الشرق باعتباره الموضوع الرئيسي، و معنى هذا أن الإستشراق لو لم يكتب له البقاء بالصور القديمة لا يزال حيا في الحياة الأكاديمية.[3]

و يتعرض **محمد الحوماني** لدراسة الإستشراق فيقول:"يكاد يكون الإستشراق علما قائما بنفسه له أصوله و فروعه،و له مقدماته و نتائجه، و يكاد يكون رجاله على الرغم من شتاتهم شعبا خاص له أفقه الخاص به و حياته المقصورة عليه، و قد مر هذا الشعب و برجاله في العالم قرون، و لم يكتشفه كما هو عالم أديب و لكن هناك بضعة من الكتاب نقلوا لنا و للغربيين نتفا من أخبار هذا الشعب، في معرض النقد أو التقريظ، و الناقل إما شرقي يشكر للمستشرق إنصافه أو ينعى عليه تعصبه، و إما غربي يشكر له تعصبه و ينعى عليه إنصافه."[4]

و يرى **مالك بن نبي**:"يجب أولا أن نحدد المصطلح أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، و عن الحضارة الإسلامية ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:

**1**-<u>من حيث الزمن:</u> طبقة العلماء مثل جرير دوربياك، و القديس توما الإكويني، و طبقة المحدثين مثل كارادو و جولد زيهر.

**2**-<u>**من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام و المسلمين في كتاباتهم:**</u> فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية و طبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.[5]

---

[1] ـ د/ حسين الهراوي، نحن و المستشرقون، مجلة المعرفة، 1932 م .
[2] ـمأخوذ عن: فلسفة الإستشراق، ص: 28 .
[3] ـ د/ أحمد سمايلوفتش (فلسفة الإستشراق ) ص:28
[4] ـ محمد الحوماني، المستشرقون، الرسالة، 26 يوليو 1937 ، ص:15 .
[5] ـ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث،ط1 ، دار الإرشاد، بيروت، ص: 6 .

و يشعر علي **حسن الخربوطلي** بصعوبة تعريف الإستشراق فيقول:" و إذا كان من العسير كما رأينا وضع تحديد ثابت لمفهوم كلمة شرق، فانه من الصعوبة أيضا بتعريف المستشرق تعريفا قاطعا شاملا، و لكن يمكننا أن نقول إن المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية فلابد أن يتوافر في هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق حتى ينتج و يفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي، و لابد أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب، و لو كان هذا العالم يابانيا أوأندونوسيا أو هنديا لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم مولده و حضارته و بيئته.[1]

و يتجه **يوسف أسعد داغر** في مفهومه لهذا العلم إلى أن:" الإستشراق على إطلاقه و شموله حركة علمية عنيت و لا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية ما غبر منها و ما حضر، و ما طمس ذكره منها، و بما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية و أثار فكرية و أدبية و فنية و دينية، و بما يتصل بهذه الحضارات القديمة و بما فيها من شعوب و أجناس و مذاهب و مدارس، و ما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية و هو خليق بان تحييه نشرا و طباعة ."[2]

و يقرر **إسحاق موسى**:"أن لفظة إستشرق و مشتقاتها مولدة استعملها المحدثون و استعملوا من الاسم فعلا فقال إستشرق و ليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي و المدققون يؤثرون استعمال علماء المشرقيات بدلا من مستشرقين و يؤثرون استعمال عرباني لدارسي العربية، و لكن لفظة إستشرق و لفظة مستشرق قد شاعتا شيوعا كبيرا."[3]

و إذا كان الإستشراق اهتماما وحيد الاتجاه، فانه لم يستطع أبدا أن يكون وحيد الهدف أو الرؤية برغم المحاولات المتكررة فتغيرت الأهداف تبعا للعصور و النوايا و الدوافع و المشاعر المعلنة أو المنتشرة و الفلسفات التي تحكم رؤية الذات إلى الغير و لقد فقد وحدة الرؤية رغم أنه حاول الوصول إليها مرات، و صاغ في سبيلها مواثيق اختلفت باختلاف الدوافع إليها.[4]

1 ـد/ حسن الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1988 م ، ص66 .
2 ـ مأخود عن د/ أحمد سمايلوفتش ،فلسفة الإستشراق ،ج1،ط1 ،2002 ص 30
3 ـإسحاق موسى الحسيني، الإستشراق ( نشأته، تطوره و أهدافه)، ج 1 ، مطبعة الأزهر، 1967 ، ص: 55
4 د/ أحمد درويش ،الإستشراق الفرنسي والأدب العربي دط ،دت ص:32

فعندما كان الدافع الديني هو المسيطر في العصور الوسطى صدر أوائل القرن ***14*** عن مجمع فيينا الكنسي ***(1312)*** مجموعة من الوصايا تحاول أن ترسم الإستشراق حقوله و أهدافه حين توصي بتأسيس كراسي الأستادية للعربية و اليونانية و العبرية و السريانية في جامعات باريس و أكسفورد وبولونيا و غيرها....و هذا الدافع الديني هو الذي لون كثيرا من ألوان الإنتاج الأدبي و الفكري في أوروبا حتى هذه الأعمال التي كانت تجنح إلى أن تكون ذات طابع أدبي و تلك التي عرفت النتاج الفكري العربي بدرجة أو بأخرى.[1]

و ثبت فيما بعد للباحثين وجود تأثير لذلك الفكر عليها مثل الكوميديا الإلاهية لدانتي ***(1365 م)*** التي قدمت صورة عن شخصيات الشرق الإسلامي تعكس ذلك اللون من التفكير حيث تضع بني الإسلام في المرتبة الثامنة من الجحيم و هي مرتبة لا يتلوها في المرتبة التاسعة.[2]

**رأي العلماء الغرب:**

لقد كانت صلة فرنسا بالثقافة الإسلامية أولا في مدارس الأندلس و صقلية حيث تأثرت بها وأنشأت على إثرها مدارس للدراسات الترفيه و الإسلام.[3]

و من بين العلماء الغربيين نجد جويدي الذي عرفه قائلا:" و الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو علم الشرق بل نستطيع أن نقول إن عرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب.....بل يمكن أن نقول أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي و التمدن الشرقي".[4]

و خلاصة القول: ليس هناك مفهوم محدد متفق عليه حول الإستشراق و مجالاته و الحقول التي يعالجها، فهناك من يطلق هذا المفهوم على كل من يقوم بدراسة الشرق حتى و إن كان من المتخصصين في الدراسات الإسلامية، و لكنهم بصفتهم يعنون بالمسائل و القضايا الشرقية دون أن يكونوا هم من هذه الأصقاع.[5]

و منهم من ينظر إليه على انه تلك الموضوعات، و الدراسات الإسلامية و المشرقية التي يعالجها المستشرقون بمناهج و طرق علمية، كتلك التي يتبعها الغربيون في دراساتهم و منهم من اعتبر

---

[1]- المرجع نفسه ص :33

[2] -المرجع نفسه ص:33

[3]- عجيل جاسم النمشي المستشرقون ومصادر التشريع -ط1، 1404هـ 1984م ،الكويت ،ص :07

[4] - جويدي، علم الإستشراق و تاريخ العمران، الزهراء الربيع الأول، 1347 ه ،ص: 14 .

[5] -الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص :20 بتصرف

القائمين بتلك الدراسات لتحديد مفهوم الإستشراق حتى و إن كانوا لا يتقنون اللغات الشرقية و لا يعرفون تاريخ الشرق وحضارته [1]

[1] المرجع نفسه ص :24

***المبحـــث الثـــانـــي:***

## نشأة الاستشراق:

نشأ الإستشراق و تطور في ظل الصراع الغربي ضد الإسلام، و كسلاح فكري من أسلحة الغرب الموجهة ضد الإسلام كدين و حضارة، و واصل الإستشراق دوره كسلاح علمي و فكري منذ بداية الإسلام، و حتى وقتنا الحاضر ظل مرتبطا بالحركات الاستعمارية الأوروبية[1].

و قد قام الإستشراق على خلفية فكرية اتكأت على الصراع الحضاري بين الإسلام و النصرانية من جهة و بين الإسلام و اليهودية من جهة أخرى، و يؤيد هذه الخلفية أن الإستشراق قد انطلق من الكنائس و قام به في البدء رهبان و قسس.[2]

و من بين من تطرق إلى نشأة الإستشراق **فروي بارث** يؤكد أن:" الإستشراق كما هو اليوم ليس سوى نتيجة لدراسة أجيال عديدة فلو طلب الإجابة على السؤال التالي بالتحديد متى بدأت حركة الإستشراق؟ فان الباحث سيواجه المشاكل بدون شك و مع ذلك فعليه إن يوجه نظره إلى التاريخ نفسه و تطور الإستشراق ذاته."[3]

و بناءا على هذا الأساس يستطيع أن يقول أن بداية الدراسات العربية و الإسلامية ترجع إلى القرن***(12م)***، إذ فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام***(1143م)*** بتوجيه الأب **فيزابل** و في هذا القرن أيضا ألف أول قاموس لاتيني عربي و لذلك كله كانت بداية الإستشراق في القرن ***(12م)***.[4]

كما أن نشأة الإستشراق كانت تعني تسليط الأضواء على مختلف الحضارات بالتدقيق و الإمعان عند النظر فيها و بالاهتمام و الاعتناء عند فحصها و دراستها و رص ظواهرها و تعليل كل ما يطرأ عليها كأسلوب للسيطرة و لامتلاك السيادة.[5]

و من عام ***(1519م)*** دعا ملك فرنسا **فرنسيس الأول** الأستاذ بوليس يوستينيا بتدريس العربية و العبرية في عاصمة مملكته و لكنه لم يبق في وظيفته إلا عامين ثم عاد إلى موطنه و لم يخلفه احد

---

[1] ـ د/ عفاف صبره ، المستشرقون و مشكلات الحضارة ، جامعة الازهر ، دط 1985 ، دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع ، ص . 20 .

[2] ـ علي بن إبراهيم النملي،/ مصادر المعلومات عن الإستشراق و المستشرفين ، السلسلة الثانية (16) ، 1414 هـ ، 1993م الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ص . 15

[3] ـ رودي بارث، الدراست العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1967 ص: 17 .

[4] ـ د/ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الإستشراق، دط، 1998 م ، دار الفكر العربية، ص . 56

[5] ـ محمد عزت الطهطاوي إسماعيل ، التبشير و الإستشراق ، أحقاد جملات على النبي و بلاد الإسلام ، دط ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ص 31 .

في مكانه ويؤكد لامنس أن بقية الدول الأوروبية كانت تجهل علم العربية في بداية القرن(16م) حتى في الأندلس نفسها و يبرر حكمه فيما يتعلق باسبانيا قائلا: " لم يبق فيها سوى أثار قليلة من لغة كان قد علا منارها في عهد الخلافة الأموية منذ نحو من 700 سنة.[1]

و يمضي **لامنس** مؤكدا:" أن أوروبا في القرن(16م) قد واجهت صعوبات باللغة في دراسة اللغة العربية و الحق يقال أن درس العربية لم يكن بين أهل أوروبا من الأمور السهلة في القرن (16م)،وكان من يحاول ذلك أشبه بمن يتصدى اليوم لدرس لغة مجهولة لا يعرف أحد هجاءها كلغة الحيثيين و لا نتردد أن نشبه بشمبوليون إذ توخى حل الرموز الهيروغليفية بعد أن عثر على حجر رشيد المخطوط باللغتين المصرية و اليونانية."[2]

أما الكتاب المعاصرين العرب نجد **ادوارد سعيد** ينعت الإستشراق بوصفه نمط من الإسقاط الغربي على الشرق و إرادة السيطرة عليه.[3]

و نستنتج من هذا المفهوم أن الاهتمام بأحوال الشرق و الكشف عن عقليات شعوبه أصبح الإستشراق يمهد الأرضية الصالحة للاستعمار الاقتصادي و السياسي و الثقافي لشعوب الشرق الأدنى بصفة خاصة.[4]

و قد ذهب **محمد البهى** إلى أن:" الإستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن (13م) على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك، ثم يؤكد أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن هذا العلم قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر و غيره في أوروبا."[5]

و يقرر **نجيب العقيقي**:" أن الذين يظنون أن أوروبا لم تعرف إستشراقا حقيقيا قبل الحملات الصليبية مخطئون لأن الإستشراق عرف في القرن (10م)، و ما كانت الحروب إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الإستشراق و ما الحملات الصليبية إلا وقوف الغرب على ثقافة الشرق و فلسفته التي تناهض المسيحية."[6]

---

[1] - المرجع السابق ( فلسفة الإستشراق) ، ص . 57
[2] - هنري لامنس، درس العربية في أوروبا المشرق، 15 نوفمبر 1901 ، ص: 21
[3] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ج1 ، ط1 ، 2002 ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ، لبيا ، ص . 20.
[4] - المرجع نفسه ، ص . 20
[5] -محمد البهى، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالإستعمار الغربي، ط 10 ، مكتبة وهبة، القاهرة، ص: 40
[6] - نجيب العقيقي، المستشرقون، ط 1 ، 1937 ، بيروت، ص: 36

و هناك من الباحثين من يرجع بداية الإستشراق إلى القرن *(10م)* و هو يرتبط بجزئيات حركة التاريخ العربي و هناك نوعان من الإستشراق:

1-<u>**استشراق قديم:**</u> حيث يعتمد القديم على دراسة حضارة الأمم و الشعوب و آدابها و فنونها نهض به أساتذة متخصصون في تلك الحقول الفكرية ذات الجذور البعيدة ...[1]

2-<u>**استشراق جديد:**</u> الذي يعتمد على جمع المعلومات عن جميع نواحي الحياة العربية بما فيها الأوضاع السياسية و تحليلها و ظهور الإسلام اعتنقه الكثير مما أدى بالغرب إلى شن هجوم معاكس تمثل فيما عرف بعد بالحروب الصليبية.[2]

و خلاصة القول أن العوامل التي كونت التاريخ الإستشراقي إنما هي عوامل دينية و سياسية واقتصادية، أما العامل الديني فواضح لا غموض فيه و هو بهدف إلى نشر الديانة المسيحية و تبليغ دعوتها و تصوير الإسلام بما يثبت فيه فضل المسيحية و رجحانها مع الإسلام، و العامل السياسي هو أن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد الدول الغربية في الشرق.[3]

---

[1] ـ د/ عادل الآلوسي ، التراث العربي و المستشرقون ، ط1 ، 1422 هـ ، 2001 م ، ص . 14.
[2] ـ المرجع نفسه ، ص . 14.
[3] ـ المرجع نفسه، ص . 14.

## المبحـــث الثـــالـــث:

## أهداف الإستشراق:

تتداخل أهداف الإستشراق، بحيث لا يستطيع الباحث بسهولة وضع خطوط أو فواصل بينها، فالهدف الديني و الهدف العلمي، و الهدف السياسي أو الاستعماري، هذه الأهداف جميعها حاضرة في التخطيط الإستشراقي بحيث تؤدي جميعها في نهاية المطاف إلى تحقيق هدف وحيد هو قهر الإسلام و أهله و إعلاء المسيحية.[1]

فالإستشراق أهدافه غربية خالصة و نتائجه بالنسبة للمجتمع الإسلامي نتائج خطيرة، تسعى إلى محو الصفة الإسلامية و طبع المجتمع الإسلامي بطابع الثقافة الغربية.[2]

و يمكن تحديد الأهداف الإستشراقية في:

### الهدف الديني:

كان الهدف في البداية يسير في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنب إلى جنب، و تتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي:

**1**-محاربة الإسلام و بحث عن نقاط ضعف فيه و إبرازها، وبالزعم من أنه دين مأخوذ من المسيحية و اليهودية، و الانتقاص من قيمه و الحط من قيمة نبيه.[3]

**2**-حماية المسلمين من خطره بحجب حقائقه عنهم، و اطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، و تحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين و التبشير و التنصير بالمسلمين.[4]

**3**-تشكيك المسلمين بنبيهم، و قرآنهم و شريعتهم و فقههم و قيمة تراثهم الحضاري؛ يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، و لم يكن العرب و المسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة و أثارها، لم يكن لهم إبداع فكري و لا ابتكار حضاري و كان في حضارتهم كل النقائص، كما سعوا إلى إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام.[5]

---

[1] ـ د/ محمود ماضي ، الوحي في المنظور الإستشراقي و نقده ، ط1 ، 1416 هـ ، 1996 م ، دار الدعوة للنشر و التوزيع ، ص.19

[2] ـ د/ محمد خليفة ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتهات الإسلامية ، حسن أحمد ، ط1 ، 1997 ، ص . 09

[3] ـ ـ د/ حمدي محمود زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دط ، دت ، ص .75.

[4] ـ المرجع نفسه ، ص . 75

[5] ـ د/ مصطفى السباعي ، الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم ) ، دط ، دت ، دار الوراق للنشر و التوزيع ، المكتب الإسلامي ، ص . 30.

و يعتبر الهدف الديني من الأهداف الواضحة فقد صاحب الإستشراق طوال مراحل تطوره يقول **الدكتور ادوارد سعيد**:"إن الإستشراق السامي و الإستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما إلا إلى درجة ضئيلة جدا من أسار الخلفية الدينية التي أشتق منها أصلا."[1]

كما يقول الدكتور **محمد البهي**:".... و السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الإستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى... فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من أثار مرة عميقة، و قد تركزت أهداف الإستشراق في خلق التخاذل الروحي، و إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين و الشرقيين عامة، و حملهم من هذا الطريق على الرضا و الخضوع للتوجيهات الغربية."[2]

يقول **برنارد لويس**:" لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين و مستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية."[3]

**<u>الهدف الاستعماري أو التسلطي:</u>**

يقول الدكتور **ادوارد سعيد**:" إذا اتخذنا من أواخر القرن ***(18م)*** نقطة للانطلاق محددة تحديدا تقريبا، فان الإستشراق يمكن أن يناقش و يحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، و بإيجاز الإستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق و امتلاك السيادة عليه."[4]

و يرى **مارسيل بوازار**:" أن الإستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا و بريطانيا العظمى.... فقد كان المطلوب إجمالا فهم العقلية الإسلامية فهما جيدا لتسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية."[5]

و قد أصبح دور المستشرق في ظل المد الاستعماري يماثل دور المنصر، و يتضح مما سبق أن أهداف الإستشراق و التبشير و الاستعمار واحدة، فأكثر المستشرقين كانوا عملاء للاستعمار في بلاد الإسلام و العروبة و دأبوا على تقويض الخصائص و المقومات الدينية و التاريخية للعرب و المسلمين لكي يمكنوا للاستعمار في هذه البلاد و يشيعوا النزعة الصليبية الغربية في المجالات

[1] ـ د/ إدوارد سعيد، الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العلمية، ص: 265 .
[2] ـ د/ محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالإستعمار الغربي،ط 10 ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ص: 43 .
[3] ـ د/ برناد لويس، العرب في التاريخ ص: 63 .
[4] ـ المرجع السابق ( الإستشراق)، ص: 38 .
[5] ـ مارسيل بوازار، الإسلام اليوم، بيروت، 1986 م ، ص: 20 .

المختلفة و منها بطبيعة الحال مجال التظاهر بالبحث العلمي الصرف المحايد، و هكذا أصبح الإستشراق وسيلة فعالة لخدمة الاستعمار بعد أن أنجز تقمصه و تحوله من إنشاء بحثي إلى مؤسسة إمبريالية.[1]

**الهدف السياسي:**

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية، و اتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي العالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر و العشرين، و اضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، و أن تدرس لهم آدابها و دينها ليعرفوا كيف يحكمون هذه المستعمرات، و قد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين و الشريعة.[2]

**الهدف العلمي:**

أن الدراسات العلمية التي قام بها المستشرقون للكشف عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام من الأهمية للمكان، لأنها سمحت لنا بالاطلاع على أهم المصادر العلمية حول هذه المنطقة، و لأنها اعتمدت على دراسة اللغات القديمة للمنطقة، و على النصوص الحجرية والنقوش التي كتبت بها و لأنها تناولها العلماء بالتحليل الصارم الذي أدى إلى الكشف عن حقائق علمية ما كان لنا الوصول إليها لولا هذه الجهود التي لا سبيل لنا إلى إنكارها.[3]

و قد كانت مقاصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا فمنهم من قرأ الكتب الدينية و فحصها، و أدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية و مؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله و كتبه و رسله و دعوة إلى الحق و الخير و الصلاح.[4]

و قد تأتي دراسة البعض لغرض علمي للإفادة من الجوانب المشرقة في تاريخ الشرق كالوقوف إلى تاريخ العلوم التي ازدهرت في رحاب الحضارة الإسلامية أو الوقوف على حلقات غامضة من تاريخ

---

[1] د/ محمود ماضي، ( الوحي في المنظور الإستشراقي و نقده)، ص: 22 .
[2] ـ د/ محمود حمدي زقزوق ( الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، ص . 78.
[3] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد ، الخطاب الإستشراقي ، ج1 ، ط1 ، 2002 ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ، ليبيا ، ص . 106.
[4] ـ المرجع السابق ، ( الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ) ، ص .77.

الحضارة الأوروبية و لكنها تتضح من خلال معرفتهم بتاريخ الحضارة الإسلامية و من ذلك محاولتهم الوقوف على تاريخ اليونان و الرومان... من خلال المصادر الإسلامية.[1]

و يرى المستشرق **بارث** أن ظهور هذه الفئة من المستشرقين كان على وجه التقريب منتصف القرن *(19م)* يقول:" أننا نعني أن الصفة العلمية بالمعنى الحديث ظهرت في هذه الوقت على الإستشراق بوضوح أكثر من ذي قبل ... و ذلك عندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية لعالم الشرق متجردين من الآراء السبقية و كل لون من ألوان الانعكاس الذاتي.[2]

**الهدف التجاري**:ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين *(19م)* *(20م)*، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم و الحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار.[3]

و من أجل هذا وجدوا أن الحاجة الماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، و التعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية، و الزراعية، و البشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم، و لذلك كانت المؤسسات المالية و الشركات و كذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال ، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية و الحماية، و نظرا لأهمية الدين و تأثيره الفعال في الأخلاق و المعاملات.[4]

---

[1] - د/ محمود ماضي ، ( الوحي من المنظور الإستشراقي ) ، ص . 25.
[2] - روي بارث، الدراسات العربية و الإسلامية ص: 17 .
[3] - د/محمود حمدي زقزوق ، ( الإستشراق و الخلفية الفكرية ) ، ص . 77.
[4] - المرجع السابق، ص . 78.

## المبحث الرابع:

## مراحل الإستشراق:

إن الحقيقة العلمية ترى أن تاريخ الإستشراق يعود إلى فترات أعمق بكثير من القرن *(19م)*، إذ يرى الكثير من العلماء أن الإستشراق تمتد جذوره إلى عصر الصليبيين و قد مر بثلاث مراحل هي:[1]

### 1-المرحلة الأولى:

تمتد هذه المرحلة من القرن *(16ه)*أو *(12م)* إلى القرن *(19ه)* أو *(14م)*، و هذه المرحلة هي مرحلة النشأة حيث ظهرت نخبة من الرجال الذين كان لهم دور بارز في ظهور الدراسات الإستشراقية وتطورها، و كانت السمة الواضحة للإستشراق في هذه المرحلة هي افتقاد الموضوعية، و تغليب الهوى و الذاتية، فكانت النتيجة أن عمل الإستشراق على إبراز صورة مشوهة عن الإسلام أمام الأوروبيين عن طريق إظهار الضعف عند المسلمين، و بالتالي حشد أعداء الإسلام للقضاء على تاريخه و فكره.[2]

و قد سعى الكنسيون في هذه المرحلة إلى نقل علوم الكنيسة، و فلسفة اليونان من حاضرة العرب بغداد و غيرها من البلدان العربية إلى روما حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري، و كان من أعظم ما قام به العرب إلى جانب نشرهم إلى الإسلام، و تأليفهم في علومهم قيامهم بترجمة آداب و فلسفات العالم.[3]

كما امتزج فيها التراث العربي بتراث الفرس، و الهند و اليونان و غيرهم من الأمم التي دانت لسلطان، و كان موقف أوروبا من ذلك الدور أشبه بموقفنا نحن من الحضارة الغربية في أوائل النهضة الحديثة.[4]

و تعد رحلاتهم هذه كموجة إستشراقية أولى بالمعنى الذي نقصده فقد تعلموا خلالها العربية و نقلوا علومهم إلى شعوبهم إلا أنهم نقلوا أفكارهم مشوهة عن العرب و المسلمين و صوروا دينهم و نبيهم أبشع تصوير.[5]

---

[1] ـ سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ، ط1 ، 2003 م ، دار المناهج ، ص . 19.
[2] ـ د / هاني محمد يونس بركات ، الإستشراق و التربية ، ط1 ، 1424 هـ - 2003 م ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ص . 36.
[3] ـ المرجع السابق ( الوجيز في علم الإستشراق ) ، ص . 19.
[4] ـ د/ عفاف صبره ، المستشرقون و مشكلات الحضارة ، جامعة الازهر ، دط ، 1985 ، دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع ، ص . 35.
[5] ـ سعدون محمود الساموك ، (الوجيز في علم الإستشراق ) ، ص . 21 .

و قد اهتمت هذه المرحلة بالجانب الديني و المتمثل في:

**1**-إن إعجاب الغربيون بالحضارة الإسلامية كان عظيما حتى و إن كان كاتبا متعصبا مسيحيا حيث ذكر في القرن *(19م)* إن المسيحيون يدرسون كتب الفقهاء المسلمين و فلاسفتهم لا لتنفيذها بل للتعلم بأسلوب عربي بليغ،كما أن اتصال الغرب بالحضارة العربية اتصال فعليا و مؤثرا تمثل في ظهور طلائع المستشرقين و معظمهم من الرهبان، و من أوائلهم في تلك الحقبة التاريخية راهب فرنسي يدعى **جيبير** ، فقد قصد الأندلس و أخذ من علمائها و تلقى العلوم الإسلامية بعد أن أتقن اللغة العربية و كان من أنبه خريجي جامعة قرطبة من الوافد ين حتى اعتبره المؤرخين من أوسع علماء عصره، ثقافته بالعربية و الرياضيات و الفلك، و بفضل هذا النبوغ تدرج في السلك الكهنوتي حتى أصبح حبر أعظم.[1]

**2**-في هذه المرحلة أيضا سعوا إلى العمل على نشر المسيحية، و تبليغ دعوتها و تصوير الإسلام تصوير يثبت فضل المسيحية لذلك. و نرى أن الإستشراق و التبشير يسيران معا في أغلب الأحوال ولهذا يتفق التنصير و الإستشراق في ضرورة تعلم لغات الشرق، لمعرفة عقائدهم و حضارتهم حتى ينجحوا في تنصير المسلمين، و من الصعب في هذه المرحلة فصل الدافع الديني عن الإستشراق لأن هذا الدافع يعد السبب الأول في نشأة الإستشراق، حيث يقول **أربري**:" و هناك طائفة من ذوي الجسارة و الإقدام الذين ذهبوا إلى الشرق، لينشروا فيها دينهم، و أل بهم المآل إلى أن اعتنقوا هم ديانة الشرق اعتناقا جزئيا، كما ذكر **أربري** أيضا من الدوافع التي دفعت الأوروبيون لدراسة الشرق في هذه المرحلة هو سعيهم من أجل التجارة،و هكذا سعى الأوروبيون إلى تحقيق هدف اقتصادي و هو التجارة مع ذلك الشرق مما دفعهم إلى ضرورة تعلم لغاته و فكره.[2]

كما كان للترجمة دور في مساعدة اليهود على نقل العديد من الكتب العربية القيمة إلى اللغة اللاتيوية وأشهر مترجمي المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية "**يوسف بن قمحي**" الذي قام بترجمة كتاب المرشد إلى واجبات القلب، ألفه فيلسوف يهودي اللغة العربية يدعى "**بهيه**"، و هكذا استمرت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية فاطلع الأوروبيون على هذه الكنوز العلمية الزاخرة و على أساسها بنوا حضارتهم الحاضرة، و من أشهر المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية في هذه

---

[1] - المرجع نفسه، ص . 40.
[2] - د/ هاني محمد يونس بركات ،( الإستشراق و التربية) ، ص . 38.

المرحلة الراهب **أدلارد أوف باث** اشتهر باختباره سرعة الضوء و الصوت، نجد أيضا المستشرق **بطرس المبجل** *(551ه)(1156م)* استقر رأيه إلى ترجمة القرآن إلى اللاتينية حيث اعتبر الإسلام هرطقة مسيحية.[1]

كما تخصص آخرون باللغات الشرقية الأولى كالعبرية، و الفارسية لفهم العهد المقدس بغية الرد على العلماء المسلمين فتأسست أولا المدارس العربية بمدينة ريمس بفرنسا بأمر البابا سلفستر الثاني، و أنشأ البابا هونوريوس الرابع معهد تعليم اللغات الشرقية عام *(1285م)*.[2]

و نجد من المستشرقين البريطانيين الذين اهتموا بالجانب الديني **(بادويل)** واضع أسس تدريس العربية في انجلترا، و **ادوارد بوكوك** *(1604م، 1691م)*، **سيمون أوكلي** *(1678م،1720م)*، و في ألمانيا قد تميز الإستشراق بخصائص تخالف ما هو معهود في البلدان الأوروبية الأخرى فلم تكن لها أطماع سياسية تبتغي تحقيقها في الشرق إلا في العصور المتأخرة جدا و لها أهداف دينية.[3]

**المرحلة الثانية:**

تمتد هذه المرحلة من القرن *(10ه)* أو *(15م)* حتى القرن *(13ه)* أو *(18م)*، و تعرف بمرحلة الاستقرار و قد شهدت هذه المرحلة حدوث مجموعة من المتغيرات المجتمعية، و التي كان لها انعكاساتها على حركة الإستشراق و ابرز هذه التغيرات هي: قيام النهضة الأوروبية التي بدأت منذ القرن *(16م)* وكان لها صداها على كافة الجوانب، و خاصة ظهور النزعة الإنسانية التي سادت عصر النهضة، و بروز النزعة العقلية متمثلة في حركة التنوير التي ظهرت أواخر القرن *(17م)(18م)* فأدت إلى دراسة الأوروبيين للشرق العربي الإسلامي دراسة موضوعية أكثر من المرحلة السابقة.[4]

و في هذه المرحلة ظهر أثر الفكر الإسلامي عند بعض الفلاسفة الغربيين مثل ديكارت، و ترجمت بعض روائع الأدب الشرقي مثل ألف ليلة و ليلة الذي ترجم إلى الفرنسية في نهاية القرن *(17م)*، ثم ترجم بعد ذلك إلى غيرها من اللغات، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى دراسة سيرة النبي–صلى الله عليه و سلم– و بدأت تظهر الكتب الأوروبية عن الإسلام و تاريخه، و الترجمات المختلفة للقرآن، و تأسست

---

[1] ـ الحاج سالم ساسي ، ( نقد الخطاب الإستشراقي ) ، ص . 43
[2] ـ المرجع نفسه، ص . 45
[3] ـ المرجع نفسه ، ص . 46.
[4] ـ د/ هاني محمد يونس بركات ، (الإستشراق و التربية) ، ص. 39

الجمعيات الأسيوية في انجلترا و فرنسا في النصف الأول من القرن *(19م)* ، و أخذ العلماء ينقبون عن المخطوطات الشرقية و يحققونها و ينشرونها.[1]

كما تم إنشاء الكراسي للغة العربية في الكوليج دي فرانس، كما ظهرت الطباعة مستهلة طباعة الكتب العربية في أوروبا و كان ذلك في القرن *(16م)* فصارت هذه من خطوات تطور الإستشراق، كما اهتم أباطرة الغرب بالمخطوطات العربية فطبعوها على نفقتهم الخاصة بإشراف علمائهم مما ساعد على تقدم الإستشراق و ازدهاره و ن المشاهير في ذلك: الهولندي **اربانيوس** ***(1584م) (1624م)*** الذي صنف كتابا في قواعد العربية و اللاتينية بعنوان المقدمة الأجرومية على أساس ن مناهج البحث العلمي اللغوي السليم، كما أنشئ في هذه المرحلة كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج عام ***(1045ه) (1636م)*** و في جامعة ليدن عام ***(1022ه) (1613م)***.[2]

و قد تميزت هذه المرحلة بتناولها جمع القواميس و كتب النحو العربية، و نشر المخطوطات العربية وطبعها في أوروبا قبل طباعتها في الشرق.[3]

و في منتصف القرن *(19م)* بدأت سلسلة المؤتمرات الدولية لأولئك المستشرقين يعرضون فيها ما وصل إليه في البحوث الكلاسيكية الإسلامية و العربية و الشرقية.[4]

و قد كانت مكتسبات الإستشراق في تلك المرحلة ضخمة و يرجع السبب الرئيسي في ظهور تلك المكتسبات إلى أن أهداف الحركة الإستشراقية كانت ذات صبغة علمية تسعى إلى الوصول إلى الحقيقة عن طريق البحث الدقيق.[5]

و قد اهتمت هذه المرحلة بالتبشير و الاستعمار، **فالتبشير** تمثل من خلال نشاط الكنيسة في إرسال أعضائها إلى مناطق إفريقيا و لبنان و كان عملهم ناجحا في المجال الثقافي و الاجتماعي و السياسي أكثر من المجال الديني.[6]

و يمكن أن نلخص دور المبشرين المستشرقين في:

[1] ـ د/عفاف صبره ، المستشرقون و مشكلات الحضارة ، جامعة الأزهر ، دط ، 1985 ، دار النهضة ، العربية للطبع و النشر ، و التوزيع ، ص . 35.

[2] ـ د/ هاني محمد يونس بركات ( الإستشراق و التربية) ،ص . 39

[3] ـ المرجع نفسه ، ص . 40

[4] ـ المرجع السابق ( المستشرقون و مشكلات الحضارة ) ، ص . 35

[5] ـ المرجع السابق ( الإستشراق و التربية) ، ص. 40

[6] ـ سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ، ط1 ، 2003 ، دار المناهج ، ص . 24.

1-أن دراساتهم كونت صورة مشوهة عن الإسلام في أوروبا و كانت تستمد موادها الأولية من مصادر سبقهم إلى كتاباتهم المستشرقون الأوائل، و تلك الدراسات كونت لهم شكلا منهجيا و إطار فكريا في أوروبا عدها جميعهم مسلمات و حقائق على الرغم مما توصل إليه كثيرون من نقائض لهم في بحوثهم،وتعتيم أجواء الإستشراق بنقد دقيق على الإسلام أو الأمة العربية بالذات على الرغم مما تدعيه تلك الدوائر من التجرد و الموضوعية و العلمية.[1]

أما **الاستعمار**: فالإستشراق قد خدم أغراض الاستعمار و ذلك بإرسال بعثاتها لدراسة الأوضاع في المشرق و المغرب العربي و الكتابة إلى الدوائر المعنية بلدانها للاستفادة منها.[2]

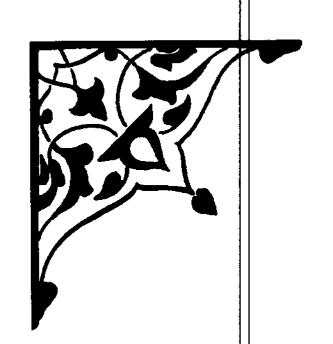
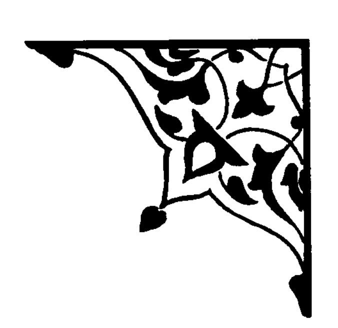
**المرحلة الثالثة:**

تمتد هذه المرحلة من القرن *(13ه)* إلى القرن *(19م)* حتى القرن *(20م)*، و عرفت بمرحلة الازدهار وقد شهدت هذه الفترة عدة تطورات في حركة الإستشراق أهمها أن طابع العداد عاد ليغلب على نظرة الغرب للشرق، و كانت أهم العوامل التي أدت إلى ذلك هو ما قامت به الدول الأوروبية من هجمة استعمارية محاولة السيطرة على معظم مناطق العالم، و خاصة في أواسط القرن *(19م)*، و قد ازدهرت هذه الحركة ازدهارا كبيرا حيث تواكبت مرحلة التقدم الضخمة في مؤسسات الإستشراق ومحتواه في تلك المرحلة من مرحلة التوسع الاستعماري الأوروبي الذي سيطر إلى العديد من المناطق العربية و من مظاهر ذلك التقدم ظهور العديد من الجمعيات و المجلات الإستشراقية في مختلف البلدان الأوروبية و عقد المؤتمرات.[3]

و في هذه المرحلة تم الاعتناء بالإسلام في أوضاعه و اتجاهاته و لم تعد الدراسات الشرقية هي الشغل الشاغل للمستشرقين المحدثين أو الجمعيات و المعاهد و أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الأمريكية و الأوروبية بل انتقلت العناية إلى دراسة الأمم الإسلامية في نهضاتها الحديثة و إلى ما ينشا فيها من حركات تجديدية و إصلاحية و إلى مقدار تأثير التعاليم الإسلامية الأصلية في تفكير الشعوب الإسلامية المعاصرة.[4]

---

[1] - المرجع السابق، ص . 24.
[2] - المرجع نفسه ، ص . 25.
[3] - ذاهاني محمد يونس بركات ، (الإستشراق و التربية) ص. 41
[4] - د/ عفاف صبره ، (المستشرقون و مشكلات الحضارة ) ، ص . 43.

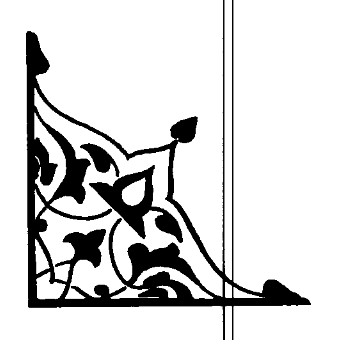
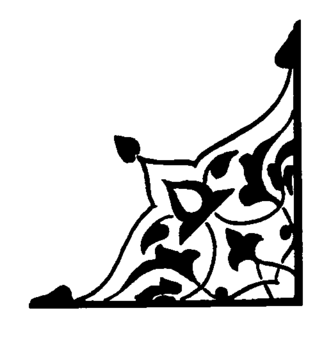
# الفصل الثاني: جولد تسيهر.

1- المبحث الأول: حياته.

2- المبحث الثاني: مؤلفاته.

3- المبحث الثالث: منهجه في الدراسات.

4- المبحث الرابع: موقف العلماء منه.

## المبحـــث الأول:

## لمحة عن المستشرق اجناس جولد زيهر:

### 1-حياته:

ليس في حياة جولد زيهر الظاهرية شيء يستحق التسجيل فهي حياة هادئة لم تخرج عن إطار الحياة العامة، أما الحياة الباطنة فكانت خصبة حافلة بالنشاط و الحركة تمت سريعا و كانت مبكرة و استمرت قوية سائرة نحو غايتها دون ثوان و لا انقطاع.[1]

كان ميلاده في **الثاني و العشرين** من شهر **يونيو** سنة ***(1850م)*** بمدينة **أشتولجيسنبرج** في بلاد المجر، و أسرته أسرة يهودية ذات مكانة و قدر كبير.[2]

فهو مستشرق مجري يهودي الأصل و عامل انتمائه إلى بلاد المجر التي كانت جزءا من الإمبراطورية النمساوية، و عامل انتمائه إلى أسرة يهودية كان حظها من المكانة في الحياة الاجتماعية، أثر كبير في تحديد خصائصه،فالعامل الأول لم يكن من شأنه أن يجعل جولد زيهر يشارك في الحياة السياسية العامة و كان العامل الثاني هو الذي طبعه بطابع العالمية.[3]

درس **جولد زيهر** في الثانوية العامة في مدينته الأم و تلقى إلى جانبها ثقافة تلمودية، كان ذا موهبة وسنه لم يتجاوز الإثنتي عشرة سنة ربيعا ليدلي برأيه في الجانب العملي في مسألة الطقوس الدينية،وذلك حين نشر عملا سيكون من وجهة نظر التلموذي (نيمست) ماديا لمسار بحث علماء المستقبل في مناقشتهم التاريخية للمشكلة ، و بعد هجرة الأب إلى( بيست ) كان جولد هو الشاب الأول تلميذ لهبرمان بامبرجر ***(1832م) (1913م)*** الذي أستدعي في عام ***(1865م)***بجامعة بودابست و تنكر في زي (دروش) حين قام برحلة إلى أسيا الوسطى.[4]

تلقى **جولد زيهر** الفارسية و التركية على يديه دون أن يحثه أحد عن ذلك علما بأن اهتماماته كانت منصبة على الموضوعات اليهودية بشكل رئيسي غير انه تلقى منحة للدراسة في الخارج بتوصية من **بامبرجر** و وزير التعليم **جوزيف فون أبو تفوس *(1868م)*** حيث ذهب في بادئ الأمر إلى برلين ودرس اللغات السامية على يد أساتذة و بإشراف **هيمان ينتهان *(1892م، 1894م)*** الذي كان يمثل

---

[1] - عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملابين 1993 ، ص . 197.
[2] - عادل الألوسي ، التراث العربي و المستشرقون ، ط2 ، دار الفكر العربي ، 1422 هـ ، 2001 م ، ص . 234
[3] - المرجع السابق : (موسوعة المستشرقين) ، ص . 197.
[4] - بوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، 2001 ، ص . 236.

العلوم اللغوية العامة تعلم مناهج نفسية الشعوب و ما يسمى بعلم البليوتولوجيا ( إشكال الحياة في العصور الجيولوجية السابقة ).[1]

ظفر بعدها بالدكتوراه الأولى سنة *(1870م)* و كانت رسالته عن شارح يهودي بالعصور الوسطى شارح التوراة و هو **تنخوم اورشلمي**، كانت البدايات الأولى في برلين أيام وجوده فيها ،و في سنة *(1972م)* تحصل على جائزة التدريس الأستاذية في بودابست و لكنه لم يستمر في التدريس طويلا و إنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج فاشتغل طوال سنة في فيينا و في ليدن و ارتحل فيما بعد إلى الشرق من سبتمبر لسنة *(1873م)* إلى ابريل *(1874م)* فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا.[2]

و منذ أن عين في جامعة بودابست و عنايته بالدراسات العربية عامة و الإسلامية الدينية خاصة تنمو و تزداد و إذا به يحرز في وطنه شهرة كبيرة جعلته ينتخب عضوا مراسلا للأكاديمية المجرية سنة *(1871م)* ثم عضوا عاملا في *(1892م)* و منذ ذلك الحال و هو لا يكاد يغادر وطنه بل و لا مدينة بودابست إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين، أو لكي يلقي محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوته إياه.[3]

و من مكتبه في مدينة بودابست ظل **جولد زيهر** أكثر من ربع قرن شمسا ساطعة استمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءا يبدد قليلا ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام و ينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت فيها تلك الحياة و ينمو على حرارته جيل ضخم ممن هم اليوم من أئمة المستشرقين.[4]

كان حاقدا على الإسلام و نبيه –صلى الله عليه و سلم– و على القران و من أقواله الشهيرة في العقيدة و القران قوله:" و من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا خاليا من التناقضات..و يقول أيضا:" كن وحي النبي في حياته معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص، و كان عدم الاستقرار و الطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات سافر."[5]

---

[1] - المرجع السابق ، ص . 237.
[2] - عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين ، دط ، مكتبة مدبولي د.ث ، ص . 115.
[3] - المرجع نفسه ، ص . 115.
[4] - عبد الرحمن يحوي ، (موسوعة المستشرقين) ، ص . 118.
[5] - سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ، ط1 ، 1423 هـ ، 2003 م ، دار المناهج للنشر و التوزيع.

تلك هي حياته الظاهرية الخارجية ليس فيها ما يثير الاهتمام فهي حياة المكتب لا حياة العالم الخارجي و هي حياة القراءة و التحصيل لا التجربة و التواصل الحي، و لهذا لم يكن **جولد زيهر** من المعنيين بشؤون الشرق المعاصر و لا بالمسائل الحية التي تضطرب فيه سواء من هذه المسائل ماهو سياسي وتشريعي و ديني و حضاري ثقافي و هو من هذه الناحية يختلف اختلافا بينا عن الغالبية من كبار المستشرقين في القرن العشرين.[1]

و إن كان **جولد تسيهر** قد أعوزته التجربة الخارجية المباشرة فقد كان لديه نوع من التجربة الروحية الباطنة استطاع عن طريقها أن ينفد في النصوص و الوثائق كي يكتشف من ورائها الحياة التي تعبر عن هذه النصوص و يتبين الدوافع الحقيقية التي استترت خلف قناع من الكلمات فهو إذا أقام الحديث فليس ذلك لكي يبين أنه موضوع أو غير موضوع و إنما لكي يدرك الميول المختلفة و الأهواء المستورة التي يعبر عنها أصحابها فيما يصنعون أو يروون من حديث، و من أجل هذا كله كان يعتمد على نفوذ بصيرته و عمق وجدانه، و هذا ما يوضح نشاطه العلمي جميعه، هذا النشاط الذي بدأ مبكرا ممعنا في التبكير، فهاهو ذا الطفل الصغير الذي لم يكد يتجاوز الثانية عشر من عمره يكتب بحثا عن أصل الصلاة و تقسيمها و أوقاتها يكتبها هذا الطفل النابغة لأنه رأى الذين يدعون أنهم يسيرون على قواعد الدين الصحيحة يجهلون حقيقة الصلاة ثم يتجه الى الدراسات الشرقية و هو لا يزال طفل في سن السادسة عشر فيترجم و هو في هذا السن قصتين من التركية إلى المجرية تنشرها له إحدى المجلات و يضعهما تحرير هذه المجلة تحت عنوان "مستشرق في السادسة عشر".[2]

كانت وفاته في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر ***(1921م)*** بالمدينة التي قضى فيها الشطر الأعظم من حياته و نعني بها مدينة بودابست.[3]

---

[1] - عبد الرحمان بدوي ، (موسوعة المستشرقين) ، ص . 198.

[2] - المرجع نفسه ، ، ص . 198.

[3] - عبد الحميد صالح حمدان ، (طبقات المستشرقين) ، ص . 120.

## المبحـــث الثــانـــي:

## مـــــؤلـــفـــاتــــــه:

يعتبر جولد زيهر من أخطر المستشرقين اليهود و من شر من حرفوا الإسلام و تاريخه و له مؤلفات عديدة و مصنفات مختلفة، و مقالات كثيرة الناظر فيها يجد الشبهات و الأكاذيب، و الافتراءات عن الإسلام الحنيف و النبي -صلى الله عليه و سلم- و الشريعة الإسلامية، و قد لعب هذا المستشرق اليهودي دورا خطيرا في مواجهة الإسلام و التشويش عليه و الطعن في قواعده.[1]

فمنذ سنة *(1866م)* أصبح في كل سنة يخرج بحثا أو طائفة من الأبحاث بين كتب ضخمة قد يتجاوز حجم المجلد الواحد منها أربعا مئة صفحة، و بين مقالات متوسطة الحجم بين العشرين و الستين صفحة و تعليقات صغيرة و بحوث نقدية تعريفا بالكتب التي تظهر باستمرار، حتى بلغت مجموعة أبحاثه كما بينها فهرست مؤلفاته **592** بحث.[2]

و قد اهتم جولد زيهر اهتماما كبيرا بالحياة الدينية و الفقهية حيث كتب عن الظاهرية و ابن حزم الظاهري عام *(1884م)* كما كتب عن التفسير و مذاهب المفسرين للقرآن أو مناهجهم و هما الكتابان اللذان ترجما إلى العربية من بين ما في مؤلفاته وتركا تأثيرات ضخمة.[3]

فأول أبحاثه الخطيرة في المسائل الإسلامية كتابه عن" الظاهرية مذهبهم و تاريخهم" الذي ظهر سنة *(1884م)* هو الذي أكسبه شهرته بصفته باحثا في الشؤون الإسلامية،[4]

و لم يقدم جولد زيهر هنا مدخلا نظاميا متماسكا بل مدخلا موجها تاريخيا في الشريعة الإسلامية دفع فيه النزاع المبدئي لمدرسة الشريعة السلفية إلى دائرة الضوء، و فتح بدلك الطريق أمام فهم وجهة نظر " داود الظاهري"،كما بين المكانة الاستثنائية التي تمثلها من واقع تفسير القران و الحديث و استعمالهم لإضراب التشريع و ناقش تاريخ هده المدرسة حتى زوالها و خص بالذكر ممثل المدرسة ابن حزم الأندلسي الذي أقام أسس المدرسة على العقيدة.[5]

---

[1] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامعة الجديدة ، ص . 47.

[2] ـ عن الاستشراق و الإتجاهات الفكرية ، مازن المطبقاتي ، ص . 87

[3] ـ حسان صالحي ، القرآن الكريم في الخطاب الإستشراقي في الرؤية و المنهج ، ط1 ، 2010 ، دار الثقافة ، بشار ، ص . 19

[4] ـ د/ أحمد نصري ، أراء ، المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم ، ط1 ، 2009 ، دار العلم للطباعة و النشر و التوزيع ، ص . 12.

[5] ـ يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، 2001 ، ص . 239.

كما تطرق في نفس الكتاب إلى الحديث عن أصول المذاهب الفقهية المختلفة و عن الإجماع، و عن الصلة بين هده المذاهب و بين المذهب الظاهري و يزيد في أهمية هدا الكتاب كذلك أنه اعتمد فيه أكثر ما اعتمد على مصادر لم تكن قد طبعت بعد.[1]

و هو في بحثه في هدا المذهب يسير على المنهج التاريخي حيث يتحدث عن تطوره و نموه، ثم عن امتداد أصول الظاهرية من البحوث الفقهية إلى البحوث الكلامية و تطبيق هده الأصول في العقائد الدينية على يد ابن حزم، و يتابع هدا التطور و يحدد الاتجاهات التي اتخذها، و يرسم المنحنيات التي سار عليها حتى يصل إلى ابن تيمية و المقريزي.[2]

و تحت إشراف فلايشر كتب بادئ الأمر مساهمات حول تاريخ علم اللغة لدى العرب، و في الوقت نفسه وصلت دراساته العبرية في كتابه الذي نشر سنة ***(1871م)*** تحت عنوان الأسطورة و تطورها التاريخي عند العبرانيين.[3]

كما نجد مجموعة من المناقشات كان بحثه حول تطور الحديث و نجد كتاب آخر يندرج ضمن سلسلة هده الكتب تحت عنوان مذاهب التفسير الإسلامي سنة ***(1920م)*** قدم فيه تفسير النصوص العربية الديني المستقى من كتب التفسير الأساس اللغوي لنظرة شمولية على تاريخ تفسير القران مند بداياته الأولى.[4]

و نجد كتاب آخر رمز إليه بعنوان فرعي هو مساهمات حول تاريخ الشريعة المحمدية، خطط له لأن يكون فاتحة لسلسلة من الدراسة التي تتناول تاريخ تطور الديانة المحمدية، تعين على فهم الدين الإسلامي هدا و قد استؤنفت هده السلسلة في عمله النوعي (دراسات محمدية) (المجلد الأول و الثاني) ***(1889م_1890م)*** و هو المعروف باسم دراسات محمدية.[5]

كما نجد كتاب آخر عظيم كان لا يزال له أخطر الأثر في الدراسات الإسلامية، و بخاصة فيما يتصل بالبحث في الحديث، و نعني به كتابه دراسات إسلامية الذي ظهر الجزء الأول منه سنة ***(1889م)*** و الجزء الثاني في العام التالي.[6]

---

[1] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملابين 1993 ، ص . 200.

[2] - المرجع نفسه، ص . 200

[3] - يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص . 241.

[4] - المرجع نفسه ، ص . 201

[5] - المرجع نفسه، ص . 240.

[6] - المرجع نفسه ، ص . 241

حيث نجد أن الجزء الأول من هدا الكتاب يتحدث جولد زيهر عن الوثنية و الإسلام، و ينظر إلى هده المسألة نظرة جديدة تختلف عن نظرة من عاصره من المستشرقين ممن عنوا بدراسة هده المسألة نفسها، مثل فلهوزن.[1]

أما الجزء الثاني فقد تحدث عن تطور الحديث و فيه برهن جولد زيهر بفطنة و عقلانية طبيعة الدور الذي لعبه الحديث و هو في الأصل للبناء و الحوار و من جهد العلماء النشطين في الجمع و الدرس في الصراعات على السلطة و في خصومات الأحزاب السياسية و الدينية و الفرق، و أظهر من خلال طائفة كبيرة من الأسئلة المستقاة من كتب الحديث الاتجاهات المختلفة التي وضعت قيد العمل لدى نشوء و تنميق و توسع الحديث.[2]

أما الأبحاث التي ظهرت فيها قدرة جولد زيهر الفائقة على المقارنة، نجد بحث له ألقاه في المؤتمر الأول الدولي للأديان الذي انعقد في باريس، و نشر في المجلد الثالث و الأربعين من "مجلة تاريخ الأديان" بعنوان " الإسلام و الدين البارسي"، في هدا البحث يكشف **جولد زيهر** لأول مرة على ما كان لدين دولة الأكاسرة من تأثير في الإسلام في عهده الأول.[3]

ثم عني **جولد زيهر** بنشر بعض الكتب المهمة، فنشر كتاب المعمرين **لأبي حاتم السجستاني** سنة ***(1899م)***، و قدم له بحث في هدا النوع من المؤلفات ذكر فيها من كتب كتبا من هدا النوع من المؤلفات باللغة اليونانية أمثال لوقيان ، فليجون الترلي ، و كتب جولد زيهر مقدمة كتاب التوحيد **لمحمد بن تومرت المهدي الموحدي**، و قد نشره لوسياني سنة ***(1903م)*** بمدينة الجزائر، و أخيرا نشر نشرته القيمة لفصول من كتاب المستظهري في الرد على الباطنية للغزالي ***(1916م)*** بمدينة ليدن، وفي مقدمة هده النشرة تحدث عن الاجتهاد و التقليد، و أماط اللثام عن النزاع الذي كان على أشده في العصر الذي بلغت فيه الدعوة الفاطمية الإسماعيلية أوج عزها بين أئمة الفاطمية و الإسماعيلية من جهة و بين رجال السنة و مذهب أهل السنة بعد أن تناوله الغزالي بالإصلاح من جهة أخرى.[4]

و لكن أشهر أبحاثه و أعظمها نضوجا و تأثيرا كتاباه المشهوران:"محاضرات في الإسلام" المطبوع بمدينة هيد لبرج سنة ***(1910م)***، و" اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين" المطبوع بمدينة ليدن سنة

[1] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 200.
[2] - يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص . 241.
[3] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 201.
[4] - المرجع نفسه ، ص . 201

(1920م) ، فالكتاب الأول هو المعروف باسم العقيدة و الشريعة في الإسلام و قد ترجم إلى العربية على يد ثلاثة من علماء الأزهر تعاونوا على نقله إلى المكتبة الإسلامية في ترجمة دقيقة أمينة في القاهرة سنة (1946م).[1]

و يعتبر هدا الكتاب عبارة عن نظرة عامة في الإسلام من جميع نواحيه ، نظرة تركيبية واضحة قد حوت جوهر الحياة الروحية الإسلامية كلها كما يراها جولد زيهر، ففي الفصل الأول منه يتحدث عن "محمد و الإسلام" و يبين ما لفكرتي الضمير و طهارة القلب.[2]

أما الفصل الثاني بحث واسع في تطور الشريعة حيث يعطينا صورة عامة عن تاريخ الحديث و الأهم من هدين الفصلين الفصل الثالث الخاص بتطور علم الكلام و يتحدث فيه عن تطور نظرية الجبر والاختيار في القرآن، أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن الزهد و التصوف، و الفصلان الأخيران يبحث أولهما في الفرق القديمة (الخوارج و الشيعة) و يبحث ثانيهما في الفرق المتأخرة (الوهابية و البابية، البهائية...).[3]

أما الكتاب الآخر الذي توج به تلك الحياة العلمية الخصبة القوية فهو في تاريخ تفسير القرآن و الذي ترجم إلى العربية، و يرى بعض الباحثين أن الترجمة فيها أخطاء كثيرة تعود إلى عدم فهم النص و أن العنوان لم يترجم بالدقة المطلوبة لأن جولد زيهر لم يتحدث عن مذاهب في التفسير بل عن الاتجاهات الفكرية لأول مرة في تاريخ الإستشراق حيث أبرز الاتجاهات المختلفة حسب التيارات الفكرية والسياسية لدى المفسرين عبر العصور التي عاشوا فيها.[4]

و قد استهل جولد زيهر هدا الكتاب بالحديث عن الخطوة الأولى من خطوات تفسير القرآن و هي الخطوة التي تكون التاريخ نفسه و عما فيه من اختلافات في القراءات و ختم كتابه بعرض رائع للاتجاه العصري في تفسير القرآن، و هكذا يقدم لنا جولد زيهر في الظاهر تاريخا حيا لتفسير القرآن بينما هو في الحقيقة يعرض لنا فيه مرآة صافية انطبعت فيها صورة واضحة للحياة الروحية طوال 13 قرنا عند ملايين بين ملايين المسلمين.[5]

---

1 - عبد الحميد صالح ، حمدان ، طبقات المستشرقين ، دط ، مكتبة مدبوي د.ث ، ص . 116.
2 - المرجع نفسه، ص . 202.
3 - المرجع نفسه ، ص . 202
4 - حسان صالحي ، القرآن الكريم في الخطاب الإستشراقي في الرؤية و المنهج ، ط1 ، 2010 ، دار الثقافة ، بشار ، ص . 20.
5 - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 203.

و هكذا يعتبر جولد زيهر المؤسس الحقيقي للدراسات الإسلامية في أوروبا فقد تعاون مع خمسة ثمانين ومجلة دورية، و ثماني موسوعات علمية، و كتب ثلاثين مقالا في الموسوعة الإسلامية و بلغت مقالاته العلمية **210** مقالات، و كتب خمسة و ثلاثين كتاب وبعد وفاته نقلت مكتبته العامرة بالمجلدات النادرة و المخطوطات القيمة التي حصل عليها إ بان تجواله في الشرق الى الجامعة العبرية بالقدس عام ***(1925م)***.[1]

**المبحـــــث الثـــــالث:**

**منهجه في الدراسات الإسلامية:**

يرى جولد زيهر أن دراسة أي دين من الأديان يدخل في نطاق فرع معين من العلوم يطلق عليه "علم الديانات"، و يتحدد هدفه في دراسة التطور التاريخي لهده الأديان المختلفة، و العوامل المتشابكة التي تحدد الأشكال الداخلية لهذه الديانات و علاقة هده التشكيلات بمصادرها الأصلية.[2]

و من هنا فإن منهج جولد زيهر لا ينصب على الوصف التاريخي للدين الذي يقوم بدراسته، ولكنه يهتم بالدرجة الأولى بالقيم الروحية و الأخلاقية التي تنص عليها تعاليم تلك الديانة و مدى تعلق مريديها بها، و يرى أنه من المستحيل علميا إصدار حكم مهما كان نوعه على أية ديانة، لأن مثل هدا الحكم يجب أن يكون مطلقا و لكن غالبا ما تنقص الباحث الضوابط و المعايير العلمية لإصدار مثل هده الأحكام المطلقة، فالأحكام المطلقة لا قيمة لها في دين من الأديان إلا بالنسبة إلى معتقيها، أما بالنسبة إلى الآخرين فأن هده القيمة تبدو دائما نسبية.[3]

فقد اعتبر جولد زيهر الإسلام دين متطورا مثله مثل اليهودية و النصرانية، بمعنى انه خاضع للعوامل التاريخية و ما تتركه من مؤثرات على الدين.[4]

و بناءا على نظرته السابقة فإن جولد زيهر يرفض تلك الأحكام المنسقة التي تطلق على الإسلام والتي تتسم دوما بالتعسف على مر العصور لأنه من الخطأ تطبيق معيار مطلق عليه، و لأن الإسلام

---

[1] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 209.

[2] ـ د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 210.

[3] ـ المرجع نفسه ، ص . 211.

[4] ـ محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط1 ، 1997 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، ص . 18.

غير مسؤول على الأخطاء المنسوبة إليه عبر التاريخ، كما أن هده الأخطاء المسبقة و التعسفية غالبا ما تكون منية على أدلة و براهين خاطئة.[1]

ونلاحظ في دراساته أنه يطبق المنهج التاريخي على الإسلام بمجموعه و أن يفهمه كظاهرة تاريخية حضارية رسمت تطوره الأفكار الدينية بشكل أساسي في هدا التفسير.[2]

ارتبط جولد زيهر بفون كريمر الذي لم يعترف صاحبه بسعة معارفه و مناهجه فقط و بشكل خاص بحدسه اتجاه القوى الدافعة للإسلام، و قد أعانته كثيرا على دلك معرفته المتنامية بالتراث اليهودي و تقاليده التي استقاها بالمعايشة المباشرة.[3]

و من هنا نلاحظ أن استخدام **جولد زيهر** لمفهوم التطور التاريخي في الدراسات الإسلامية و هدا المفهوم و إن كان يتطابق و منهجية **سنوك هرجرونيه** () ***(1936م/26/6) – (1857م/2/8)***، فإنه يختلف عنه في المضمون، **فجولد زيهر** يقصد بهدا المفهوم الكشف عن العناصر الداخلية و الخارجية المؤثرة على الحركة الإسلامية، أما **سنوك هرجرونيه** يقصد بهدا المفهوم سلسلة الحوادث و الأفكار و التمثلات التي شملها التاريخ الإسلامي، و من هدا المفهوم يستطيع الباحث معرفة تراث القدماء و يستشف منه المستقبل الذي سيحدد حتما نتيجة هدا التطور.[4]

كما نلاحظ أنهما اختلفا في العلم حيث نجد أن **جولد زيهر** وقف حياته على الدراسات الإسلامية لأسباب علمية و دينية أما **سنوك** باعتباره عقلانيا فإن الأسباب التي دفعته إلى الدراسة تعتمد على المعرفة العلمية دون سواها، و التي تقود في النهاية إلى تحقيق أهداف أخلاقية.[5]

و حاول هدان المستشرقان من خلال هدا المنهج إلى معرفة التاريخ الإسلامي الحقيقي، إلا أن التوفيق لم يكن لهما حليفا لأن المنهج التاريخي لا يقود إلى الموضوعية العلمية عند تناوله للقضايا الإسلامية.[6]

كما أن نفوذ بصيرته و عمق وجدانه ميزه بأنه ينهج في أبحاثه منهجا استدلاليا لا استقرائيا، فكان يقبل على النصوص و في عقله جهاز من المقولات و الصور الإجمالية و يحاول تطبيقها على هده النصوص و التوفيق بينها و بين ما يوحي به ظاهر النص.كما أنه كان شديد الاحتياط في

---

[1] - المرجع السابق ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 211.
[2] - بوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، 2001 ، ص . 240.
[3] - المرجع السابق، ص . 240.
[4] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 184.
[5] - نفس المرجع ، ص . 183.
[6] - المرجع نفسه ، ص . 221.

استخدام هذا المنهج و هكذا كان منهج **جولد زيهر** منهجا وسطا استطاع به أن يتجنب خطرين: خطر الضيق و السطحية في المنهج العلمي بالمعنى الدقيق، و خطر الإفراط في السعة و التأويلات البعيدة الخيالية في المنهج الوجداني الاستدلالي.[1]

إلا أن **صبحي أبو شعيشع** يرى بأن معظم اليهود و على رأسهم **جولد زيهر** لم يلتزموا بالمنهج الاستدلالي في الدراسات الإسلامية حيث ضربوا بقواعده عرض الحائط و لم يعيروا الأسس التي قام بها فثاروا على أصول الدين و قواعده التي صارت لثباتها و رسوخها ثوابت و بديهيات لا يعوزها الدليل و لا يفتقر إلى برهان و ثاروا على التعريفات فحطموا قيودها و قيدوا مطلقها و استبدلوها بأمور أخرى و تجاهلوا الكثير من النتائج الكلية و الجزئية التي قررها المنهج الإسلامي و التزم بها العلماء المسلمين في البحث العلمي بل أنهم جعلوا هده النتائج فضلا عن خصائص الأدلة التي تتميز بالإلاهية و الربانية و كثيرا من القضايا العقدية و خاصة قضايا النبوة جعلوها خاضعة للتجريب كل دلك وفق بديهيات و تعريفات و نظريات في المنظور الإسلامي.[2]

و في هدا يختلف **جولد زيهر** مع **نلينو** ***(1938م – 1872م)*** فهما في منهجهما في البحث على طرفي نقيض، فإذا كان منهج **جولد زيهر** استدلالي يعتمد على البصيرة و الوجدان، فنرى أن منهج **نلينو** منهج استقرائي خالص، كل اعتماده على النصوص لا يكاد يخرج منها إلى النتائج الواسعة أو التيارات الروحية العامة، أي أن منهج **نلينو** هو المنهج العلمي بالمعنى الدقيق و سعته للاطلاع على مختلف المسائل الإسلامية و العربية كما أن **نلينو** يمتاز بمنهجه التحليلي الاستقرائي الذي يحول بينه و بين الالتجاء على افتراض الفروض الواسعة الجريئة و يمتاز ببحوثه التحليلية.[3]

كما نجد **جولد زيهر** في منهجيته يعتمد على منهج قانون المطابقة و المقابلة و هو يرى أن التقدم الذي أحرزته الدراسات الإسلامية في السنوات الأربعين الماضية لم يكن مقتصرا على اتساع و شمولية المعارف المكتسبة فقط و لكنه تعذر إلى المنهجية العلمية المطبقة عليها و يقول في هدا الصدد:" إننا قد تعرفنا على الإسلام بمنهجية تختلف عن تلك التي طبقها أسلافنا، و بعبارة أخرى فإننا ندرس بمنهجية أخرى"[4]

---

[1] ـ د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملايين 1993 ، ص . 199.
[2] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامهة الجديدة ، ص . 144.
[3]ـ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 199 .
[4] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 214.

و هده المنهجية تعتمد على منهج النقد التاريخي و على منهج آخر يعتمد على قواعد عامة أخلاقية نفسية تتعلق بنشأة و تطور الأفكار الدينية للإنسان و كان لهدين المنهجين نتائجهما في مجال الدراسات الإسلامية و هما اللذان أطلقا عليهما اسم منهج النقد التاريخي و منهج علم مقارنة الأديان، و في أثناء اعتماده على هدين المنهجين تناول نشأة الإسلام و أبان عن كيفية تطوره و تطرق إلى أحزابه و مذاهبه و أفكاره الروحية السائدة في فترات تاريخية مختلفة كان يتجه دوما إلى استخدام تاريخ الأدب دون أن يكون مؤرخا للآداب و كان نادرا ما ينزع إلى المشاهدة المباشرة، كان يغوص في الوثائق النصوص والتاريخية ويحاول من خلال دراستها استنباط الأحكام العامة على الديانة الإسلامية، و هدا ما أدى به إلى إهمال دراسة حاضر العالم الإسلامي من الناحية السياسية و الثقافية و الحضارية.[1]

و يرى **جولد زيهر** أن تطور الحياة الإسلامية جاء نتيجة تأثرها بالأفكار الخارجية و حاول في هدا المقام استخدام منهج الأثر و التأثر بكل ما يحمل من أخطاء اعتقادا منه أن الإسلام مر بمراحل تطور وتأثر بغيره من الأديان.[2]

و دهب **سنوك هرجرونيه** إلى نفس منهج **جولد زيهر** و الذي أطلق عليه مفهوم التمثل و الاستيعاب حيث غالى في تطبيق هدا المنهج غلوا كبيرا بالنسبة إلى الإسلام عندما اعتقد بان معظم العناصر الأساسية المكونة للديانة الإسلامية كانت عناصر خارجية، إلا أن الإسلام قد استوعبها و تمثلها وأصبحت جزءا من نظامه العام.[3]

أن الصورة الإسلامية لدى **جولد زيهر** بالرغم من خطإها منهجيا و عمليا فانه يراها صورة متحركة ومتفتحة على العالم الخارجي، و من هنا كان **جولد زيهر** يعتقد آن تاريخ الإسلام ماهو إلا عبارة عن دراسة تياراته الروحية المختلفة.[4]

و من خلال المناهج التي اعتمد عليها **جولد زيهر** نلاحظ شغفه بدراسة المصادر الأصلية و الأجنبية للدراسة الإسلامية و هو يرى انه لا يمكن فهم الروح الإسلامي الصحيح ما لم يدرس الباحث العلاقة بين تطوره و مصادره، و لا يمكن الوصول إلى هده المصادر إلا بدراسة التطور التاريخي لهده

---

1 ـ المرجع السابق ، ص . 214.
2 ـ محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط1 ، 1997 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، ص . 18.
3 ـ المرجع السابق ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 184.
4 ـ د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 119.

المصادر، و قد طبق هده المنهجية في كتبه الرئيسية مثل: الظاهرية، و دراسات محمدية و مناهج التفسير القرآني ثم أضاف إليها العناصر الخارجية عند تطبيقه لمنهج النقد التاريخي و منهج الأثر والتأثر.[1]

[1] ـ المرجع السابق ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 214.

## المبحـــــث الرابـــع:

## موقف العلماء منـــه:

قام الإستشراق على أكتاف الرهبان و المبشرين ثم أتصل فيما بعد بالمستعمرين، و كان لعلماء العرب و الغرب مواقف مختلفة اتجاه هؤلاء المستشرقين و من بين المواقف التي كانت توجه إلى المستشرق جولد زيهر نجد: من بين العلماء العرب على سبيل المثال لا الحصر موقف **الإمام الغزالي** الذي يقول :" أن كل خطوة كان يخطوها لا تزيده إلا ضلالا عن القصد، و بعد عن الغاية و سواء تكامل في مسيرته أو نشط و سواء تأنق في مسيره أو تعثر فهو لم يحقق بهده الجهود المهدرة شيء و جولد زيهر مند أن شرع يخط السطور الأولى في كتابه العقيدة و الشريعة لم يكن يملك درة من العالم المنصف، كان يخطئ في النقل و الفهم و الحكم."[1]

و بأحسن وصف له و لأمثاله قول الأستاذ **أحمد فارس الشدياق:**" إن هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم عن شيوخه و إنما تطفلوا عليه تطفلا و توثبوا عليه توثبا."[2]

و نظرا لأن جولد زيهر من أخطر المستشرقين اليهود و من شر من حرفوا في الإسلام و تاريخهن و له عدة مؤلفات و مصنفات الناظر فيها يجد الشبهات و الأكاذيب و الافتراءات على الإسلام الحنيف و عن النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ و الشريعة الإسلامية، و قد لعب هدا المستشرق دور خطير في التشكيك و الطعن في أصول و قواعد الإسلام حيث قال الأستاذ **أنور الجندي** في كتابه " الإسلام في وجه التغريب" :" يعد جولد زيهرمن أكبر الناقمين على الإسلام و يعد كتابه العقيدة و الشريعة في الإسلام مثلا لهدا التشويه الذي حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية و الذي يمثل تزويرا فادحا، و تحريفا خطيرا لسمعة الإسلام بأسلوب مخالف كل المخالفة للدقة في النقد و مناقض أشد المناقضة للتمحيص في الاستنباط العلمي."[3]

و يقول **الشيخ محمد زاهد الكوثري** و هو يتحدث عن كتابات المستشرقين ضد الإسلام:"...و من أخطر هدا الفريق المموه جولد تسيهر المجري الدم، اليهودي النحلة، العريف في عداء الإسلام، الماضي في هدا السبيل طول حياته، و هو من رجال أوائل القرن الميلادي الحاضر و له دراسات في القرآن و علومه و الحديث و علومه و الفقه و أصوله، و في الكلام و فرق المتكلمين إلا أنه

---

[1] - محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ط5 ، دار إسلام للنشر و التوزيع ، ص . 11.
[2] - نفس المرجع ، ص . 12.
[3] - د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامهة الجديدة ، ص . 47.

محتال ماهر في توليد ما يشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا في تحميلها ما لا تحتمله من المعاني عند أهل البصيرة و متجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر في الثقة و التعويل."[1]

يقول كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الإسلامية:" إن العلم مدين دينا كبيرا لما كتبه جولد زيهر على مسار الدراسات الإسلامية الإستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديدا حاسما اتجاه تطور البحث في هده الدراسات.[2]

و من بين آراء العلماء الغرب نجد **ريتشارد هورتمان** الذي يرى أن " جولد زيهر هو المؤسس الفعلي للدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا، و كان من ضمن العوامل التي ساعدت على نمو الإسلام انطلاقا من دراسة تاريخ الأديان، و هو الذي أعطى للدراسات الإسلامية خصائصها المميزة باعتبارها أحد الفروع العلمية المستقلة بذاتها و المختلطة بالمشاكل و المناهج الخاصة بها و من الصعوبة بإمكان فهم الدراسات الإسلامية و تطورها لولا مساهماته الفعالة في هدا الخصوص و تركيزه على تحليل الأفكار الإسلامية من خلال النصوص و الوثائق التي أخضعها للبحث و التحليل و أكبر خدمة قدمها في هدا الإطار دراسته العميقة بالمعرفة التاريخية للأحداث النبوية.[3]

و تحدث عنه أيضا المستشرق الهولندي **سنوك هرجرونيه** حديثا مشوبا بالذكريات الشخصية و الصداقة العميقة واصفا إياه بالعالم المتبحر في القضايا الإسلامية و بالخصال الإنسانية الحميدة التي يتمتع بها.[4]

و يلخص **بغانمولر** عمل **جولد تسيهر** في هدا المجال فيقول:" لقد كان جولد زيهر أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي و قد تناول في القسم الثاني من كتابه "دراسات محمدية " موضوع تطور الحديث تناولا عميقا، و راح بماله في علم عميق و اطلاع يفوق كل وصلٍ ..... و قد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث، و لم يعد يثق فيه مثلما كان "دوزي" لا يزال يفعل دلك في كتابه "مقال تاريخ الإسلام".[5]

---

[1] ـ المرجع السابق ، (دفاع عن العقيدة و الشريعة) ، ص . 12

[2] ـ د/ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص . 106.

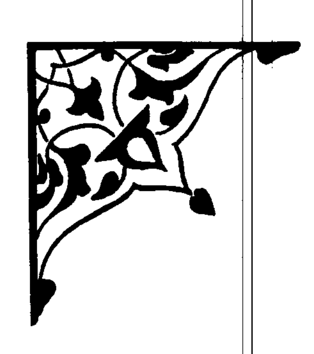
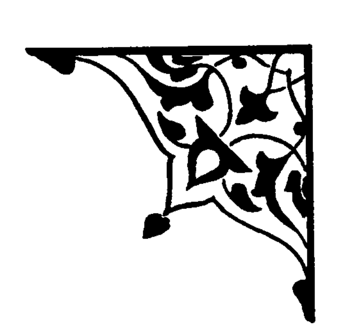
[3] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 209.

[4] ـ نفس المرجع ، ص . 210.

[5] ـ د/ سعد المرصفي ، المستشرقون و السنة ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامي ، ص . 5

و يراه المستشرق الألماني **هنريش بكر** بأنه " الأب الروحي لجيل المهتمين بالدراسات الإسلامية، فهو مبدع و منشئ علم الأسلومولوجيا بالتعاون مع زميله **سنوك** و دلك عندما حاولا فهم الإسلام من دراسة الإسلام ذاته و قد دافعا على هده الأصالة الإسلامية في مواجهة المناهج الفقهية اللغوية التي استخدمت لفهم الإسلام، فقد اهتم الاثنان بالنصوص الأدبية و دلك بوضعها في سياقها التاريخي و عالجا من خلال تلك النصوص تاريخ الأديان بصفة عامة و تاريخ الديانة الإسلامية بصفة خاصة و قد بحثا من خلال تلك النصوص و الدراسات المنظمة لها الأفكار الإسلامية مستخلصين منها الأصالة الإسلامية الحقة عاثرين في طياتها على منطق داخلي لها.[1]

[1] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ص . 210.

## الفصل الثالث: رؤية جولد زيهر للسنة النبوية من حيث:

1- المبحث الأول: تعريف جولد زيهر للسنة النبوية.

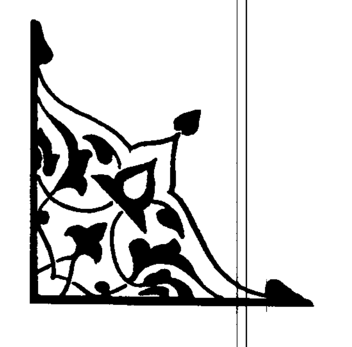
2- المبحث الثاني: ثبوت السنة النبوية من حيث:

أ- تدوين السنة النبوية.

ب - وضع الأحاديث.

3- المبحث الثالث: تطور السنة النبوية.

4- المبحث الرابع: حجج العلماء في الرد عليه.




## المبحـــــــث الأول:

## رؤية جولد زيهر للسنة النبوية:

ــ تعرضت السنة النبوية للنقد و التشويه من قبل المستشرقين، حيث تركزت دراساتهم و بحوثهم في الطعن فيها لتشويه صورتها، و التشكيك في ثبوتها، فمن حيث النصوص و المتون، عكفوا على نقول توهموا تعارضها، و بنوا عليها استنتاجاتهم و أوهام، ونظروا في الأسانيد فشككوا في تسلسلها، وطعنوا في كبار المحدثين و أوهنوا أسانيدهم و استداروا إلى النواحي التاريخية ليكيلوا الافتراءات على غير سند أو تقيد بأصول علمية في البحث و تقرير النتائج.[1]

و لم يكتفوا بذلك بل حاولوا معارضة السنة النبوية بالقرآن، و القرآن بالسنة، و السنة بأقوال و أعمال الصحابة أيضا، حتى أصبحت السنة نشازا بين مصادر التشريع الإسلامي لا تقوى على إثبات نفسها فضلا عن كونها مع القرآن تمثل مرجع الأمة في التشريع و التوحيد.[2]

و نظرا لأن غاية الإستشراق الأخيرة هي جعل الدين الإسلامي مجرد أسطورة ليس له حقيقة ربانية، وإنما هو مزيج من الآراء و الأفكار، التي اقتبست من بعض الأشخاص كبحيرا الراهب و غيره، و من الأديان الأخرى كاليهودية و النصرانية، لدلك بادر هؤلاء المستشرقون إلى الطعن في أركان هدا الدين و مصادره الأصلية، التي هي مصدر التشريعات و الأحكام. فأعلنوا حربا ضد القرآن و السنة النبوية.[3]

و من بين المستشرقين الدين سعوا إلى طعن و تشويه السنة النبوية، نجد المستشرق اليهودي المجري جولد زيهر من خلال أفكاره حول القرآن الكريم و السنة النبوية.

و قبل أن نشير إلى موقفه لابد من بيان حقيقة مفهوم السنة، لدحض هدا الخلط الذي انتهجه المستشرقون بقصد التضليل على أبناء الأمة، والتشكيك في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، و السنة بهده الصفة لها حجيتها، و يجب العمل بمقتضاها إدا تبث رواياتها عن الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ عن طريق العدل الضابط إلى منتهاه بدون شدود، و

---

[1] ـ عجيل جاسم النمشي ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م ، الكويت ، ص . 81.
[2] ـ نفس المرجع ، ص . 81.
[3] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامعة الجديدة ، ص . 10.

لا علة وأساس حجيتها تستند إلى ما جاء في القرآن لقوله تعالى:" و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و احذروا."[1]

و قوله:" من يطع الرسول فقد أطاع الله."[2]

و قوله:" فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما."[3][4]

و قد أمر الله سبحانه و تعالى الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ أن يبلغ رسالته إلى الناس في قوله تعالى:" يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك."[5]

و لكن الأمر لم يكن مجرد تبليغ آلي، و إنما هو تبليغ مصحوب بالتبيين كما وردفي قوله تعالى:" و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون"[6]

و قد فعل الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ ما أمره الله به، فكانت سنته المتمثلة في أقواله و أفعاله و تقريراته بالنسبة للقرآن بمثابة تفصيل مجمله و بيان مشكله و بسط مختصره.[7]

و بدلك يكون الارتباط بين القرآن الكريم و السنة النبوية ارتباط لا يتصور أن ينفصل في يوم من الأيام حيث نبه الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ على دلك حين قال:" تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله و سنتي."، و من أجل دلك اهتم المسلمون اهتماما عظيما بالسنة، بوصفها الأصل الثاني للإسلام، و قد كان هدا الفهم يعد من الأمور البديهية لدى الصحابة، فعندما بعث الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ معاد بن جبل واليا إلى اليمن سأله : كيف تقضي إدا عرض عليك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسوله، قال فإذا لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي.[8]

فالسنة في اللغة تعني الطريقة و السيرة حسنة كانت أو سيئة.[9]

---

[1] - المائـدة . 92.
[2] - النسـاء . 80.
[3] - النسـاء . 65.
[4] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص . 463.
[5] - المائـدة . 67.
[6] - النحـل . 44.
[7] - د/ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري دط ، دت ، دار المعارف ، ص . 105.
[8] - نفس المرجع ، ص . 105.
[9] - ابن منظور ، لسان العرب ، ط1 (1410 هـ ، 1990 م) ، دار المصادر ، بيروت ، ص . 803.

و منه قوله ـــ صلى الله عليه و سلم:" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها بعده من غير نقص في أجورهم شيء، و من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها بعده من غير نقص من أوزارهم شيء."[1]

و هناك من يرى بأن السنة وجدت مند زمن الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و يراد بها طريقته وسيرته، و خلقه، و كل ما يتعلق به و أصبحت في النهاية عبارة عن أقواله، و أفعاله، و تقريراته، وقد استقرت هده المفاهيم مند البداية و لم تتعرض للتطور و التجديد طبقا لضرورات الحياة الإسلامية العقلية أو السياسية و الاجتماعية.[2]

أما في الاصطلاح يختلف معناها حسب اختلاف مناهج العلماء، حيث اصطبغت في الإسلام صبغة أكسبتها معاني، استمد كل فريق من علماء الإسلام المدلول الخاص به من تلك الصبغة، إذ أنها من الكلمات التي خصصها المفهوم الإسلامي عن معناها اللغوي المطلق.[3]

فقد استعملت بمعنى تعاليم الشريعة الإسلامية، و على هدا المعنى تشمل كافة التعاليم الواردة في القرآن و الحديث أو المستنبطة منهما مما هو حجة، و يحمل على هدا المعنى ما جاء من الأخبار و الآثار، التي تحث على التزام تعاليم الشريعة أو تظهر الأمر الذي كان عليه الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ وأصحابه فكلها تستعمل السنة بمعنى تعاليم الشريعة، و في كثير من الأحاديث جاءت كلمة السنة في مقابلة القرآن أو معطوفة على كلمة الكتاب غالبا.[4]

و هي في اصطلاح المحدثين: ما أثر على النبي ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ من قول و فعل أو تقرير أو صفة خلقية سواء كان قبل البعثة أو بعدها و هي بهدا ترادف الحديث عند بعضهم.[5]

و تعريفهم هدا مبني على عنايتهم بإثبات و تصحيح كل ما يتصل بالنبي ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ من أقوال، و أفعال، و أخبار، سواء أثبتت أحكاما شرعية أو لا... و هو مستمد من تفسير السلف للسنة بأنها آثار الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ.[6]

---

[1] ـ مأخود عن د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ص . 23.
[2] ـ الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص . 455.
[3] ـ د/ سعد المرصفي ، (السنة و المستشرقون) ، ص . 24.
[4] ـ نفس المرجع ، ص . 24.
[5] ـ د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ط1 ، 2000 ، دار الوراق ، المكتب الإسلامي ، ص . 67.
[6] ـ المرجع السابق ، السنة و المستشرقون ، ص . 25.

أما عند الأصوليين فهي: ما نقل عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ من قول و فعل أو تقرير فمثال القول: ما تحدث به ـ صلى الله عليه و سلم ـ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام و مثال الفعل ما نقله الصحابة عن أفعال النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ من سلوك و تصرف و فعل مثل كيفية الصلاة، و مثال التقرير ما أقره الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا، أو بإظهار استحسان و تأييد فمن الأول: تقريره عليه السلام لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حيث قال لهم:" لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة"، فقد فهم بعضهم هدا النهي على حقيقته فأخرها إلى ما بعد المغرب، و فهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتها، وبلغ النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ ما فعل الفريقان فأقرهما و لم ينكر عليهما و من الثاني ما روي أن خالد بن الوليد ـرضي الله عنه ـ أكل ضب قدم إلى النبي عليه السلام دون أن يأكله فقال له بعض الصحابة أو يحرم أكله يا رسول الله ؟ فقال: لا، و لكنه ليس في أرض قومي فأجدني أعافه.[1]

و قد تطلق السنة عندهم على ما دل عليه دليل شرعي سواء كان دلك في الكتاب العزيز أو عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف و تدوين الدواوين و منه قوله عليه السلام:" عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدي." [2]

أما السنة عند الفقهاء: هي ما نقل عن الرسول عليه السلام من فعل أو تقرير و يضيف بعضهم ما يصلح أن يكون دليلا شرعيا.[3]

و هناك من الفقهاء من يراها الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض، و لا وجوب بمعنى النافلة و المندوب، و بعضهم خص دلك بنوع من القربة يطلق عليه ما داوم عليه النبي عليه السلام من التعبدات كالرواتب و صوم الاثنين و الخميس دون ما لم يداوم عليه.[4]

---

[1] ـ أخرجه بخاري و مسلم عن إبن عباس.
[2] ـمأخود عن د/ مصطفى السباعي، السنة و مكانتها في التشريع، ص . 25.
[3] ـ د/ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري دط ، دت ، دار المعارف ، ص . 25.
[4] ـ د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ص . 226.

و هي عند علماء العقيدة و الإرشاد ما وافقت الكتاب و الحديث و الإجماع سلف الأمة من الإعتقادات والعبادات و من هنا استعمل هدا الاصطلاح أهل السنة، و تعريفهم هدا مبني على عنايتهم بالأعمال التعبدية و موافقتها للدليل و رد ما خالف دلك.[1]

و نستخلص مما سبق في تعريف السنة على أنها تنقسم إلى خمسة أقسام: سنة إعتقادية، سنة قولية، سنة فعلية، سنة تركية، تقريرية.[2]

و قد درس المستشرق جولد زيهر السنة النبوية من جميع الجوانب، و ناقش كل الأمور المتعلقة بها وأوغل فيها عدة ادعاءات التي لا تستند إلى حجة و لا عقل، و لا منطق بل هي ادعاءات مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام و أهله، عن طريق إثارة بعض الشبهات الواهية، و الآراء المتهافتة التي ما أنزل الله بها من سلطان و هدا يتضح من خلال تعريفه للسنة.[3]

يعبر جولد زيهر عن مفهوم السنة فيقول:" هي جوهر العادات و تفكير الأمة الإسلامية قديما، فهي العادة المقدسة و الأمر الأول."[4]

و يقول أيضا:" و أنه ما من أمر يوصف عندهم بالفضل و العدالة، إلا إدا كان له أصل في عاداتهم الموروثة أو متفقا معها، و هده العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون أو الديانة، كما أنهم كانوا يرونها المصدر الأوحد للشريعة و الدين، و يعدون إطراحها خطأ جسيما، و مخالفة خطيرة للقواعد المعروفة و التقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها، و ما يصدق عن الأفعال يصدق أيضا عن الأفكار الموروثة، و الجماعة يتحتم عليها أن لا تقبل في هدا المجال شيئا جديدا لا يتفق مع أراء أسلافها الأقدمين.[5]

ثم يضيف قائلا:" بأن فكرة السنة يمكن إدراجها بين الظواهر التي سماها سبنسر بالعواطف القائمة مقام غيرها، و هي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الأجيال و الأحقاب، و التي تركزت و تجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة أو الصفات التي يتوارثها أفراد هده البيئة.[6]

---

[1] ـ نفس المرجع ، ص . 26.

[2] ـ محمد بن عبد الوهاب بن علي ، اليمن ، القول المفيد في أدلية التوحيد ، ط1 ، 1427 هـ ، 2006 م ، مكتبة الإرشاد ، دار ابن حزم ، ص . 169.

[3] ـ د/ عزية طه ، من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد ، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ، السنة السادسة ، العدد 13 ، ص . 7.

[4] ـ عجيل جاسم النمشي ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م ، الكويت ، ص . 81.

[5] ـ د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ص . 29.

[6] ـ المرجع السابق ، (المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي) ، ص . 82.

و قد نقل العرب فيما بعد السنة إلى الإسلام، الذي آوهم بمخالفة سننتهم القديمة، و أصبحت السنة الإسلامية دعامة من دعامات الفقه و التفكير في الإسلام، و لا شك أن نظرية السنة في الجاهلية قد أصابها تعديل جوهري عند انتقالها إلى الإسلام، ففي الإسلام أصبح المسلمون لا يطالبون بإحياء السنن الوثنية التي نسخت معالمها بل بدأوا بالمأثور من المذاهب و الأقوالن و الأفعال، التي كانت لأقدم جيل من أجيال المسلمين، و أصبح أفراد هدا الجيل هم المؤسسين لسنة جديدة تغاير السنة العربية القديمة.[1]

و أخد المسلمون من دلك الوقت ينهجون في حياتهم نهج الأساليب، و الآراء التي صح عندهم أنها من أقوال النبي و أفعاله و يضعونها في المحل الأول، أو تلك التي صحت عن الصحابة و يضعونها في المحل الثاني.[2]

و في كتابه العقيدة و الشريعة يرى بأن السنة تعتبر شرحا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرا عمليا سهلا.[3]

و ملخص اتهام جولد زيهر للسنة يكمن في:

ــ أن سنة النبي عليه السلام ما هي إلا نقل آداب و حكم و أقاصيص و مواعظ عن الأمم السابقة حيث يقول:" هناك جمل أخدت من العهد القديم و الجديد، و أقوال للربانيين مأخوذة من الأناجيل الموضوعة، وتعاليم من الفلسفة اليونانية و أقوال من حكم الفرس و الهنود كل دلك أخد مكانة في الإسلام عن طريق الحديث."[4]

ــ ذكر أن مفهوم السنة مند ظهور الإسلام عبارة عن منهج حياة، و نظام اجتماعي، مطابق لروح التشريع الإسلامي، باعتبارها المعيار الصحيح لتصحيح نظام الحياة الفردي و الجماعي، حيث قال:" إن العرب لم يبتدعوا هدا المفهوم، و لا تطبيقاته العملية لأنه وجد سلفا لدى العرب الجاهلين، و كانت السنة في مفهومهم هي كل ما يتفق و عادات العرب و أخلاقهم، و بهدا المعنى استخدمت كلمة السنة في العهود الإسلامية في الأوساط العربية، إلا أن هدا المفهوم القديم للسنة قد تغير تحت تأثير الدين

---

[1] - المرجع السابق، (السنة و المستشرقون) ، ص . 29.
[2] - نفس المرجع ، ص . 30.
[3] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص . 437..
[4] - محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين ، ط5 ، دار السلام للنشر و التوزيع ، ص . 88.

الإسلامي. فأصبح المقصود من السنة كل أفعال النبي عليه السلام و الصحابة، و هكذا فإن المفهوم الإسلامي للسنة هو عبارة معدلة من الآراء العربية القديمة.[1]

هدا هو مفهوم السنة عند جولد زيهر فهي تعني مرحلتين الأولى: أنها تشمل كل ما ورث عن المسلمين في الصدر الأول من أقواله و أفعاله، و عادات و تقاليد، و الثانية تشمل كل ما أثر من أقواله و أفعال عن النبي عليه السلام، أو صحابته رضوان الله عليهم.[2]

## المبحـــث الثـــاني:

## ثبوت السنة النبوية

توجهت أنظار المغرضين من المستشرقين إلى السنة المطهرة، من حيث ثبوتها ليوجهوا لها سهام نقدهم المغرض، و ما فيه من افتراء و بعد عن التحقيق العلمي، ظانين أنهم يستطيعون توهين بنائها و مكانتها التشريعية بعد القرآن الكريم، و ركزوا في هدا التشكيك على جانبين: ــ ثبوتها من حيث التدوين.

ــ وضع الأحاديث.[3]

### *1ــ تدوين السنة:*

ــ ترتكز شكوك جولد زيهر حول السنة النبوية، فهو يرى أن التدوين بدأ في المائة الثانية، فقد أعطى للمسلمين فرصة أن ينقصوا في الحديث و في وضع الأحاديث لخدمة أغراضهم، كما شك في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ ، و يرمي من وراء دلك إضعاف الثقة باستظهار السنة و حفظها في الصدور، و يرمي إلى وصم السنة كلها بالاختلاق و الوضع على ألسنة المدونين. فهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما وافق هواهم.[4]

وقد زعم أيضا على أن ألوف الأحاديث النبوية من صنع علماء الإسلام، في الطبقات التالية لعصر الصحابة، و هدا يعني أن شيئا منها لم يدون في زمن النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ و هدا الزعم يردده كثير من المستشرقين حيث تأثر به بعض العلماء المسلمين من مثل أبو رية.[5]

---

[1] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 478.
[2] - د/عجيل جاسم النمشي ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م ، الكويت ، ص . 82.
[3] - نفس المرجع ، ص : 87.
[4] - محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط1 ، 1997 ، ، ص . 124.
[5] - المرجع السابق ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ص . 87.

و لا شك أن دعوى المستشرقين و زعمهم أن الأحاديث لم تدون في عهد النبي عليه السلام، و إنما دونت في عهود متأخرة يؤدي إلى نتائج خطيرة. مما يؤدي إلى عدم الاطمئنان بصحة ثبوت الأحاديث بل انعدام هده الصحة في بعض الأحايين، و دلك بافتراض الوضع و توسيع أبوابه، و بالتالي سقوط الثقة بكل ما جاء عن النبي عليه السلام أو على الأقل يصبح باب وضع الأحاديث و افترائها عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفتوحا على مصرعيه، و هدا ما يؤدي بدوره إلى بطلان الاحتجاج بالسنة كمصدر تشريعي.[1]

فقد نقلت السنة من الصحابة إلى التابعين مشافهة و تلقينا، و إن كان عصر النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ لم يخلو من كتابة بعض الحديث، و لقد انقضى عصر الصحابة و لم تدون فيه السنة إلا قليلا، إنما كانت تتناقلها الألسن حيث فكر عمر ـ رضي الله عنه ـ بتدوين السنة و لكنه عدل على دلك، فقد أخرج البيهقي في "المدخل" عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يكتب السنن فاستشار في دلك أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهر ثم أصبح يوما و قد عزم الله له فقال:" إني كنت أردت أن أكتب السنن، و إني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها و تركوا كتاب الله و الله لا ألبس كتاب الله شيء أبدا."[2]

و استمر الأمر كذلك إلى أن وقعت الفتنة و انتشر الكذب في الحديث، و نهض أجلاء التابعين فمن بعدهم لمقاومة حركة الوضع، و كان من أول ثمار هده الجهود أن دونوا السنة خوفا عليها من الضياع.[3]

و بعد هده الأخبار عن التدوين و حرص الأمة على سلامة الحديث النبوي، لا يمكننا أن نسلم بما دهب إليه المستشرقين، و خاصة بعد أن ظهر أمرهم على ضوء ما بيناه، فالسنة حفظت مند عهد الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ في الصدور، و قيدها بعضهم في الصحف و كانت محل اعتناء المسلمين في مختلف عصورهم فتناقلوها جيلا عن جيل، حفظا أو دراسة بالمشافهة و الكتابة و اجتهدوا وسعهم لحفظ الحديث بأسانيده في مصنفات خشية تسرب الكذب إلى حديثه ـ صلى الله عليه و سلم ـ، ثم اجتهد كبار العلماء في جمع الحديث الصحيح على أسلم قواعد التثبت العلمي فإذا

---

[1] - نفس المرجع ، ص . 88.
[2] - د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ط1 ، 2000 ، دار الوراق ، المكتب الإسلامي ، ص . 122.
[3] - نفس المرجع ، ص . 122.

اعترف المستشرقون ببعض الحقائق العلمية و أقروا جانبا منها أثبتته المصادر الإسلامية، فلا يجوز لنا على أي حال أن نقبل ما ذهبوا إليه من طعن في صحاح السنة باسم طبيعة تطور الرواية أو غير ذلك.[1]

## 2 ـ وضع الحديث:

ينطلق المستشرقون بعامة في دراساتهم للحديث النبوي من خلال ثقافتهم السابقة بأفكارها و معاييرها فهم لا ينظرون إلى الحديث على أنه كلام الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ في كثير من الأحيان بل ينظرون إليه إلى أنه مادة خام تكدست فيها أشتات عناصر فكرية مختلفة ثم يحاول المستشرق التعرف على هده العناصر ليرد وفقا لمقاييس كل عنصر إلى مصدره.[2]

و قبل التطرق إلى جولد زيهر و شبهاته حول وضع الحديث لا بد أولا من تعريف الحديث تعريفا موجزا مع تبيين متى كان الوضع و كيف نشأ.

### تعريف الحديث:

يطلق لغة على الجديد و الخبر، و لا يختلف معناه عما سبق، و ما جاء من أقوال يبدو فيها اختلاف في الألفاظ، فهو من قبيل اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات، و ليس من قبيل الاختلاف في الحقيقة كما يتوهمه الدين لا يمعنون النظر.[3]

و هناك من يرى بأنه اسم من التحديث و هو الإخبار، ثم سمي عليه كل قول و فعل أو تقرير، نسب إلى النبي عليه السلام، و يقول ابن حجر في شرح البخاري:" المراد بالحديث في عرف الشرع ما أضيف إلى النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ و كأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم."[4]

و الحديث بالمعنى اللغوي يعني الحكاية أو الخبر، بحيث يطلق على المعارف و الأحداث التاريخية سواء أكانت دنيوية أو دينية، و سواء أكانت في الماضي البعيد أم في الوقائع و الأحداث المتأخرة.[5]

أما تعريفه من حيث موضوعه: هو علم يعرف به أقوال الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و أفعاله وأحواله و ينقسم إلى علم حديث دراية و علم حديث رواية.[6]

---

[1] ـ د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ص. 38.
[2] ـ د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص . 464.
[3] ـ المرجع السابق ، المستشرقون و السنة ، ص. 27.
[4] ـ الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص . 403..
[5] ـ نفس المرجع ، ص . 403.
[6] ـ المرجع السابق ، (المستشرقون و السنة) ، ص. 28.

أما فيما يخص الوضع فقد كانت سنة أربعين من الهجر ة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة و خلوصها من الكذب و الوضع، و بين التزيد فيها و اتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية و الانقسامات الداخلية، نتيجة الخلاف بين علي و معاوية ــ رضي الله عنهما ــ مما شكل حربا سالت به دماء و أزهقت فيه أرواح، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف و أحزاب متعددة، و حاول كل حزب أن يؤيد موقفه من القرآن و السنة، فعمل بعض على تأويل آيات القرآن على غير المراد فيها، و اضطروا لتحميل النصوص من القرآن و السنة ووضعوا على لسان النبي عليه السلام ما يؤيد مدعاهم.[1]

لم ينشأ الوضع في عصر الصحابة لأنهم كانوا محل ثقة فيما بينهم، لا يكذب بعضهم على بعض. خصوصا و أنهم يحفظون على النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ قوله:" إن كاذبا علي ليس ككذب على أحد، و من كدب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار."[2]

و قد قيل إن أول من تجرأ على دلك هم الشيعة. فيكون العراق أول بينة نشأ فيها الوضع، و قد أشار إلى هدا أئمة الحديث حيث كان الزهري يقول:" يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع إلينا من العراق ذراعا."[3]

ومن أسباب الوضع نجد: الخلافات السياسية و الخلافات الفقهية، نتيجة ابتكار الجهلة للأحاديث ليؤيدوا بها مذاهبهم، كما نجد الترهيب و الترغيب، من خلال نشاط بعض الوعاظ لما وجدوا الناس قست قلوبهم و لا يلينها إلا ذكر أهوال النار و نعيم الجنة، ظانين أنه عمل يقربهم من الله عز وجل.[4]

وجل.[4]

و من بين المستشرقين الذي كان له أثر في وضع شبهات حول وضع الحديث المستشرق اليهودي جولد زيهر من خلال آرائه المتمثلة في :

[1] ـ د/عجيل جاسم النمشي ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م ، الكويت ، ص . 98.

[2] ـ مأخود عن د/ مصطفى السباعي، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، ص: 93 .

[3] ـ نفس المرجع ،ص: 96 ، نقلا عن ابن عساكر .

[4] ـ المرجع السابق ، (المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي) ، ص .100.

**الشبهة الأولى:** يرتكز جولد زيهر في دراسة الحديث على ثقافته المستقاة من الفكر اليوناني، أن الغنوصية و الأفلاطونية المحدثة تشكلان مراجع أساسية لكثير من الأحاديث التي سار عليها أهل السنة و الجماعة.[1]

و قال:" و كان التصوف خصوصا هو الذي عني بتصوير الكثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في صورة إسلامية فعن دوائر الصوفية صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التي قصد بها تبرير قواعد هدا الاتجاه الديني و هو التصوف."[2]

**الشبهة الثانية:** أن الحديث نتيجة لتطور المسلمين حيث يقول:" يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني و التاريخي و الاجتماعي في القرن ***1*** و ***2*** ، فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول: عهد الطفولة و إنما هو أثر من آثار اليهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام.[3]

و يقدم جولد زيهر مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور، التي تم فيه تشكيله من بين القوى المتناقضة و التباينات الهائلة، حتى أصبح في صورته النسقية..... و يصور جولد زيهر التطور التدريجي للحديث و يبرهن بأمثلة كثيرة و قاطعةن كيف كان الحديث انعكاسا لروح العصر؟ و كيف عملت على دلك الأجيال المختلفة؟ و كيف راحت كل الأحزاب و الاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال دلك عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام و أجرت على لسانه لأقوال التي تعبر عن شعاراتها.[4]

**الشبهة الثالثة:** إستجاز العلماء الكذب دفاعا على الدين.

حيث يزعم جولد زيهر أن :" في العصر الأول الذي اشتدت فيه الخصومة بين الأمويين و العلماء الأتقياء، أخد هؤلاء يشتغلون بجمع الحديث و السنة، و نظرا لما وقع في أيديهم ــ أي العلماء الأتقياءــ من دلك لم يكن ليسعفهم في تحقيق أغراضهم، أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها

---

[1] - د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص . 365.
[2] - نفس المرجع ، ص . 365.
[3] - د/ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري دط ، دت ، دار المعارف ، ص . 107.
[4] - نفس المرجع ، ص . 107.

مرغوبا فيها و لا تنافي الروح الإسلامية، و برروا دلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون هدا في سبيل محاربة الطغيان و الإلحاد و البعد عن سنن الدين." [1]

**الشبهة الرابعة:** في قوله أن:" الحديث عنده يتجلى في جهود الأمة الإسلامية، في عملها الشخصي الخالص، فلم تندمج في

ه أمور القانون و العادات و العقائد، و الأفكار السياسية، فحسب بل لف فيه كل ما يملكه الإسلام من محصوله الشخصي و كذلك الأمور الغريبة عنه، و قد غير هدا المستعار تغييرا أبعده عن أصله المأخوذ منه و ضم دلك كله إلى الإسلام و هكذا صار الحديث عند جولد زيهر إطار للأفكار الدينية و الخلقية في الإسلام و تطوراته القديمة، و عزا إلى هدا التطور ذاته ما طرأ على المبادئ الخلقية التي لم يكن الإسلام في العصر الأول مستعدا لها، و هكذا اشتمل الحديث مع المبادئ ذات التقوى العالية الخالية من الظواهر وحدها. فأصبحت تدور على الرحمة سواء من عند الله أو من عند الإنسان.[2]

**الشبهة الخامسة:** جامعوا السنة كتبوها مكرهين.

يزعم جولد زيهر بعد التحريف الذي قام به أن جامعي السنة لم يكتبوها مختارين، بل كتبوها مكرهين وأن الأمراء هم الدين أكرهوهم على كتاباتهم.[3]

**الشبهة السادسة:** تدخل الدولة الأموية في وضع الحديث.

حيث قال:" و لم يقتصر الأمر على هؤلاء، فإن الحكومة نفسها لم تقف ساكنة إزاء دلك، فإذا أرادت أن تعمم رأيا أو تسكت هؤلاء الأتقياء تذرعت أيضا بالحديث الموافق لوجهات نظرها، فكانت تعمل ما يعمله خصومها فتضع الحديث أو تدعو على وضعه."[4]

**الشبهة السابعة:** يرى جولد زيهر أن الأعمال الدينية نفسها أصابها التطور. فأصبحت قيمة العمل تقدر بالنية التي رفعت إلى عمله و منه جاء حديث " إنما الأعمال بالنيات"، و هو يرى أن الحديث جاء متأخرا و مع دلك فقد ارتفع شأن هدا الحديث، كما يقول إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية.[5]

**الشبهة الثامنة:** تدخل معاوية في الوضع.

---

[1] - د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ط1 ، 2000 ، دار الوراق ، المكتب الإسلامي ، ص . 228.

[2] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص . 420..

[3] - د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامعة الجديدة ، ص . 167.

[4] - د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ص . 230.

[5] - المرجع السابق، ( نقد الخطاب الإستشراقي) ، ص . 420..

حيث يرى أن معاوية قال للمغيرة بن شعبة:" لا تهمل في أن تسب عليا، و أن تطلب الرحمة لعثمان و أن تسب أصحاب علي و تضطهد من أحاديثهم و على الضد من هدا أن تمدح عثمان و أهله و أن تقربهم و تسمع إليهم."ثم يقول على هدا الأساس قامت أحاديث الأمويين ضد علي.[1]

**الشبهة التاسعة:** أن مفهوم الحديث هو الشكل الذي وصلت به السنة إلينا فقط ـ أي السنة و الحديث ـ ليسا بمعنى واحد، و إنما السنة دليل الحديث فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين، الدين يوصلون إلينا هده الأخبار، و الأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة، مما ثبت عند الصحابة أنه حاز موافقة الرسول في أمور الدين و الدنيا و ما ثبت أيضا حسب هدا المعنى من المثل التي تحتدى كل يوم.[2]

**الشبهة العاشرة:** اتهام المحدثين بالتحايل من أجل إثبات صحة الحديث، و قد استخدموا على زعمه التأويل النحوي من أجل استبعاد الاتجاه الأفلاطوني منه.حيث قال:" و ليس أدل على توطن الحديث الممنوع في العلوم الدينية الإسلامية على الرغم من احتجاجات أهل السنة، و على الرغم من تحايلات رجال الحديث ليس أدل على هدا من أن واحد من أكثر أهل السنة تشددا و تعصبا، رأى نفسه مضطرا إلى الالتجاء إلى أن يؤول الحديث تأويلا نحويا من شأنه أن يسلب الحديث اتجاهه الأفلاطوني."و هو يعني لدلك المتعصب في نظره ابن تيمية ـ رحمه الله ـ و لست أدري على أي أساس يحذر على عالم الحديث الاستئناس بالوجه اللغوي في التفسير و توجيه النصوص. و لا أحسب هدا المنطلق إلا صالحا للنظر في نقد النص من الداخل لدى كل الأمم فما وجه الغرابة في أن يعود إليه شيخ الإسلام ابن تيمية أو سواه.؟!"[3]

## المبحـــــث الثالـــــث:

### تطور السنة النبوية:

أما فيما يخص تطور السنة النبوية، فنجد أن المستشرقين أقروا دور التشريع للقرآن، و أنكروا السنة كمصدر تشريعي هي الأخرى، لأنهم اعتقدوا أن الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضعت، و أنها خضعت لتطورات متلاحقة في القرون الإسلامية، و أن السنة النبوية لم تأخذ مكانتها التشريعية إلا بعد أن جدرها الشافعي و قعد لها القواعد، و أصروا هؤلاء المستشرقين على أن الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ لم يأت بنظام تشريعي جديد من جميع جوانبه، و إنما

[1] ـ المرجع السابق ، (السنة و مكانتها في التشريع) ، ص . 232.
[2] ـ د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ص. 29.
[3] ـ د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص . 471.

أخذ سنن العرب و عاداتهم القبلية ليغير منها ما يلائم العقيدة الجديدة، و كان ملخص قولهم إن مادة التشريع الإسلامي في عصر الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ ترجع إلى أعراف العرب القبلية و عاداتهم قبل ظهور الإسلام.[1]

و يعد جولد زيهر ممن أعتبر أن السنة النبوية مواكبة و ملاحقة للأحداث المستجدة، و القدرة على إعطاء الأحكام الشرعية المناسبة لها حيث يقول:" من ناحية التطور الديني الذي نعني به هنا لا يهمنا الحديث من ناحية شكله النقدي و إنما يهمنا من ناحية التطور، كما أن مسألة صحته و قدمه تجيء متأخرة عن معرفة أن الحديث تتجلى فيه جهود الأمة الإسلامية في عملها الشخصي الخالص و نرى دلك كله في الأمثلة الكثيرة للأغراض التي لم تكن موجودة في القرآن."[2]

ثم يقول:" إن العرب لم يبتدعوا هدا المفهوم، و لا تطبيقاته العملية لأنه وجد سلفا لدى العرب الجاهليين و كانت السنة النبوية في مفهومهم هي كل ما يتفق، و عادات العرب و تقاليدهم و أخلاقهم، إلا أن المفهوم القديم للسنة النبوية قد تغير تحت تأثير الدين الإسلامي. فأصبح المقصود من السنة النبوية كل أفعال النبي و أصحابه الأوائل."[3]

هكذا رفض جولد زيهر تلك المكانة التشريعية للسنة النبوية في هدا العهد، لأنه اعتقد خطأ أنها قد تطورت بفعل تطور المجتمع الإسلامي، و لم تتبلور معالمها و لم تتضح أسسها التشريعية، إلا في القرون الثلاثة اللاحقة للبعثة المحمدية، و يؤكد أنها أخذت مكانتها التشريعية بعد تطوير الشافعي لرسالته الأصولية عندما وضع السنة في مستوى القرآن باعتبارها هي الأخرى وحي من الله.[4]

كما تعرض جولد زيهر إلى سلطان السنة النبوية و قوتها، باعتبارها مبدأ مرشدا و هاديا لحياة المسلم وإن هدا السلطان في حد ذاته قديم قدم الإسلام، و قد تعزز هدا السلطان بتلك القاعدة التي تقول:" إن السنة قاضية على القرآن و ليس القرآن بقاض على السنة."[5]

و يقول أيضا:" أخذت السنة ترتفع شيئا فشيئا حتى وصلت إلى مستوى القرآن، كمصدر تشريعي مأخوذ به، فكل ما حكم به الرسول من أمور دينية، و هو ما يطلق عليه سنن الهدى هو حكم الله الذي أمر به وأوحاه إلى رسوله مثله مثل القرآن تماما.[1]

---

[1] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغاري ليبيا ،ص . 571

[2] - د/عجيل جاسم النمشي ، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م ، الكويت ، ص . 108.

[3] - المرجع السابق ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ج2 ، ص . 412.

[4] - د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص . 227.

[5] - المرجع السابق ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج2 ، ص . 415.

و من هنا نلاحظ أن الخطأ الذي وقع فيه جولد زيهر و أمثاله في تطبيق مفهوم التطور على السنة. فقد أرادوا من السنة أن تترسم الواقع و نمشي على خطاه مهما كان الواقع خاطئا أو موغلا في الخطأ، إلا أن السنة إنما جاءت لتحكم هدا الواقع بكل ما فيه من قوانين و أعراف و تقاليد و غيرها، لا لأن تكون محكومة بها فالسنة النبوية هي التي تحدد ما هو تطور أو غيره.[2]

وقد اتفق العلماء جميعا أن السنة النبوية مستقلة بتشريع الأحكام، و أنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام و قال الإمام الشافعي:" و ما سن رسول الله ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ فيما ليس فيه حكم فيحكم الله سنه، و قد سن رسول الله ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ مع كتاب الله و سن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب و كل ما سن فقد ألزمنا الله إتباعه و جعل في إتباعه طاعته و في العنود عن إتباعه معصيته التي لم يعزز بها خلف.[3]

و يرد الشيخ محمد الغزالي رادا على زعم جولد زيهر و أمثاله:" أن البون بعيد جدا بين الإسلام والديانات التي سبقته، و بين الأمة الإسلامية التي قامت به و الأمم التي عاصرتها أو تقدمت عنها، وأن هدا المستشرق يريد أن يوهم بأن الدين الجديد اقتبس أو نقل من النحل، و الفلسفات الأخرى وبخاصة اليهودية و النصرانية، و أن أمته لم تزد أن تكون جسرا للمعارف و الآداب الأولى، و إن ادعت لنفسها الجدة و الابتكار. و نقول: إن العقل كان يمكن أن يجيز هدا التوهم لو كان السابق أغنى من اللاحق و أقدر، لكن إدا كان الدين الذي أتى به محمد ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ أوسع أقطارا وأرحب آفاقا مما سبقه. فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير و أن يستعين القادر من العاجز.[4]

و مع الإقرار أن السنة النبوية مصدر تشريعي للأحكام، إلا أن رتبتها بين المصادر، تأتي بعد القرآن فلا يمكن الرجوع إليها إلا إدا لم يوجد نص قرآني يعالج القضية المطروحة أمامها، و لكننا إدا أقررنا بهده المنزلة للسنة النبوية، فإننا سوف نصطدم بقول:" من يرى أن السنة النبوية عبارة عن وحي من عند الله نزل بها جبريل على محمد و لم يأت بها من تلقاء نفسه طبقا لنظرية الشافعي بالخصوص، فكان المفروض أن تكون للسنة النبوية في هده الحالة موازية للقرآن و لكن الحجج التي يقدمها أصحابها دفاعا عن مكانة السنة النبوية التالية للقرآن من حيث: اختلاف طرق ثبوتها و روايتها

---

1 - نفس المرجع ، ص . 415.

2 - عجيل جاسم النميشي ، المستشرقون مصادر التشريع ، ص . 108.

3 - المرجع السابق ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج ، ص . 417.

4 - المرجع السابق ، (المستشرقون مصادر التشريع )، ص : 110.

استدعى الأمر لأخد بعضها، و ترك بعضها فالسنة النبوية الثابتة عن طريق التواتر يجب العمل بها لصحة صدورها عن الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ، و ما كان منقولا منها بطريق الآحاد وجب العمل به في الأحكام العلمية إدا تحققت فيها الشروط التي وضعها الصحابة و الأئمة المجتهدون.[1]

و هكذا نرى أن مكانة السنة النبوية في التشريع محفوظة مند البداية و تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم فهي لا تخضع للتطور و لا لعوامله بحيث أصبحت تحتل تلك المرتبة السامية في القرنين الثاني و الثالث فقط.[2]

**المبحـــث الرابـــع:**

**حجج العلماء في الرد عليه:**

ـــ لقد سعى علماء الإسلام للحفاظ على هدا الدين من أيدي المستشرقين، و دلك من خلال الرد والتعقيب على ما ادعاه هدا المستشرق من ادعاءات باطلة في غالب الأحيان، و إن لم نقل في جميع الأحيان فرغم بصيرته النافدة إلا أنه انساق في أخطاء أثناء محاولته القضاء على الإسلام، و جعله مجموعة مفتريات.

و بعد الشبهات التي أوردها جولد زيهر حول الإسلام بصفة عامة و السنة النبوية بصفة خاصة، يقوم علماء الإسلام بالرد على أفكاره الخبيثة التي حاول زرعها في وسط أبناء أمة الإسلام.

فمن خلال قوله إن:"السنة هي جوهر العادات و تفكير الأمة الإسلامية قديما..." فنجد الحاج سالم ساسي في كتابه نقد الخطاب الإستشراقي يرد عليه قائلا:" أن السنة هي أفعال و أقوال و تقريرات الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ المنقولة عنه بالتواتر و حتى بالآحاد، و التي شرحت الكتاب و بينت ما غمض منه و شرعت أحكام جديدة لم تكن مذكورة فيه لأن الأحاديث الصحيحة بإجماع الفقهاء المسلمين وحي من الله لنبيه شأنها في دلك شأن القرآن."[3]

و فيما يخص قوله:" إن السنة مصطلح وثني في أصله و إنما تبناه و اقتبسه الإسلام." يرد عليه الدكتور مصطفى الأعظمي حيث اعتبره افتراء لا يقوم على دليل، و زعم متهافت و معارض للأدلة، ثم إن استعمال الجاهليين أو الوثنيين من العرب لكلمة ما في مفهومها اللغوي لا يلبسها ثوبا معينا، و

---

[1] - د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص : 228.
[2] - الحاج سالم ساسي نقد الخطاب الإستشراقي ط1 .2002 دار المدار الإسلامي ،بنغازي ليبيا ،ص : 418.
[3] - نفس المرجع ، ص . 436.

لا يحيلها إلى مصطلح وثني، و خصوصا إذا ما لاحظنا استعمالاتهم المختلفة لهذه الكلمة و إلا أصبحت اللغة العربية بكاملها مصطلح وثني، و هذا ما لا يقول به عاقل."[1]

أما ما تعرض إليه جولد زيهر في قوله:" إن مفهوم السنة هو عبارة معدلة من الآراء العربية القديمة..." فيرى الحاج سالم ساسي في كتابه النقد في الخطاب الإستشراقي أن جولد زيهر كعادته يرد كل ما هو إسلامي إلى العوامل الداخلية و الخارجية، ينفي عنه كل أصالة أو تجديد او ابتكار و نحن لا نذكر أن العرب الجاهليين كانوا يطيعون أسلافهم، و يعبدون آلهتهم، و يهتدون بسنن أجدادهم، ويتمسكون بمعتقداتهم و أصنامهم، و لكن شتان ما بين مفهوم السنة في دلك العصر، و مفهومها في العصر الإسلامي، فهي ليست آراء عربية معدلة كما قال، و لكنها اتخذت مفهوم مغاير لسنن العرب الوثنيين لأنها أصبحت مصدرا تشريعيا حجيتها في تقرير الأحكام. و أصبح مصدرها إلهيا حالة كونها صادرة من الله و لكنها مروية بألفاظ الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ و طاعته فيما يقوله و يفعله ويقرره واجب ديني لا مناص للمسلم الالتفات عنه، و من هنا فإن مفهوم السنة في العهدين مختلف فالجاهليون يتمسكون بسنن أسلافهم، و المسلمون يتبعون سنن نبيهم تعبدا."[2]

أما فيما يخص تطور السنة، فنرى الحاج سالم ساسي في كتابه نقد الخطاب الإستشراقي يبين أن للسنة مكانتها السامية مند نزول القرآن، و لم تخضع للتطور الذي دهب إليه جولد زيهر وصولا إلى هده المكانة السياسية، و لم تكن السنة غير مسلم بها في العصور الأولى و لم تأت ألوهية الحديث نتيجة التطور في المرتبة *2* و *3* ، و بيان دلك أن القرآن خاطب نبيه بقوله:" و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم."[3]

و مند نزول الآية نبه الله ــ عز و جل ــ إلى مكانة السنة في التشريع حالة كونها تفصل مجمله و تبسط مختصره.[4]

و دهب ابن حزم إلى بيان سلطان السنة مند البداية و لم تكن نتيجة التطور، و عندما ذكر أن القرآن هو الأصل فهو يأمرنا بطاعة رسوله ــ صلى الله عليه و سلم ــ و يخبرنا بأنه رسوله في قوله:" و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى."[1]

---

[1] - د/ سعد المرصفي ، السنة و المستشرقون ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، ص. 30.
[2] - المرجع السابق ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج2 ، ص . 479.
[3] - النحـل ، 44.
[4] -نفس المرجع ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج2 ، ص . 417.

فاستنتج بدلك أن الوحي من الله ــ عز و جل ــ إلى رسوله ــ عليه السلام ــ إلى قسمين أحدهما وحي متلو مؤلف تأليف معجز النظام و هو القرآن، و الثاني وحي مروي منقول غير مؤلف و لا معجز النظام ولا متلو و لكنه مقروء هو الخبر الوارد عن رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ و هو المبين عن الله ــ عز و جل ــ .[2]

أما فيما يخص الرد على شبهاته، فيرى الدكتور عبد القاهر العاني أن المستشرقين و خاصة جولد زيهر استغل حقيقة نقل الحديث شفاها في الجيل الأول مما يوحي في نظره عدم صحة الأحاديث كما يراها أن المستشرقين لا يتحررون المصطلحات التي عند علماء المسلمين، فراحوا يتوهمون الفقهاء بتلفيق الأحاديث و وضعها، و دلك لترويج آراءهم و اختلاف الأدلة التي تسند تلك الآراء، و هو أمر مخالف لما كان عليه الفقهاء المسلمين من الورع و العلم، كذلك فإن المستشرقين قد طعنوا بالسند و الرواة واتهموا الفقهاء بوضع الأسانيد و تلفيقها عليهم ما يشده تاريخهم و صورهم كأبي هريرة و الزهري وأبي حنيفة.[3]

أما فيما يخص قول جولد زيهر أن السنة انعكاس فعلي للتطور الإسلامي السياسي و الاجتماعي والثقافي. فنجد الحاج سالم ساسي في كتابه نقد الخطاب الإستشراقي يرد عليه قائلا:" أن الحديث وجد مند عهد الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ و نقله الصحابة و التابعون، و تحرروا الدقة في نقله إلى الأجيال اللاحقة، و بالتالي فهو ليس مرآة عاكسة للحياة الإسلامية بمقدار ما كان مرشدا و هاديا بها في الكثير من العبادات و المعاملات.[4]

كما يرى مصطفى السباعي في كتابه السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي:" أن هده النقول كاذبة حيث أن الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام بما أنزل الله عليه في كتابه، و بما سنه عليه الصلاة و السلام من شرائع، و قوانين شاملة وافية حتى قال قبيل وفاته:" لقد تركتكم على الحنيفية السمحة ليلها كنهارها."، و من

---

[1] - النحـل ، 43
[2] - المرجع السابق ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج2 ، ص . 418
[3] - د/ إسماعيل عميرة ، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط1 ، 2003 ، دار وائل ، عمان ، 2002 ، ص .81.
[4] - المرجع السابق ، (نقد الخطاب الإستشراقي) ، ج2 ، ص . 488

المعلوم أن من أواخر ما نزل على النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ من كتاب الله تعالى:" اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا."[1]

و دلك يعني: كمال الإسلام و تمامه.[2]

أما قوله إستجاز العلماء الكذب دفاعا عن الدين هكذا يبرر جولد زيهر وضع علمائنا الحديث، و هو قول لم يصل و لن يصل إلى مدى السمو الذي يتصف به علماؤنا الأثبات، و لا المدى الذي وصلوا إليه في الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العامة، و لا مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم و لا مدى استنكارهم لجريمة الكذب عن رسول الله ـ عليه الصلاة و السلام ـ حتى قال منهم:" من قال بكفر من يفعل و قتله و عدم قبول توبته." إن هدا المستشرق معذور إذ لم يفهم من علمائنا هده الخصائص لأنه لا يجد لها ظلا في نفسه و لا فيما حوله و من اعتاد الكذب ظن الناس أنهم أكذب منه.[3]

أما فيما ذكره أن جامعوا السنة كتبوها مكرهين، يرد عليه الدكتور عبد المنعم صبحي الذي يرى أن جولد زيهر يعتبر أشد المستشرقين خطرا و أوسعهم باعا و أكثرهم خبثا و إفسادا في هدا الميدان، فقد كان واسع الإطلاع على المراجع العربية حتى عد شيخ المستشرقين في الجيل الماضي، و لا ندري كيف يجرؤ على مثل هده الدعوى، حيث أن تدوين العلوم الإسلامية و العربية لم يكن منتشرا في صدر الإسلام و كان علماء السلف يعتمدون على الحفظ فقط.[4]

و فيما يخص ذكره أن الدولة الأموية تدخلت في الوضع. فيرى مصطفى السباعي أنها دعوى جديدة لا وجود لها إلا في خيال كاتبها، فما روى لنا التاريخ أن الحكومة الأموية وضعت الأحاديث لتعمم بها رأيا من آرائها، و نحن نسأله أين هي تلك الأحاديث التي وضعتها الحكومة؟، إن علماءنا اعتادوا ألا ينقلوا حديثا إلا بسنده، و هاهي أسانيد الأحاديث الصحيحة محفوظة في كتب السنة، و لا نجد في حديث واحد من آلافها الكثيرة في سنده عبد الملك، أو يزيد أو الوليد أو أحد عمالهم كالحجاج، و خالد

---

[1] ـ المـائـدة ، ص . 03.
[2] ـ د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ط1 ، 2000 ، دار الوراق، المكتب الإسلامي، ص: 420 .
[3] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامعة الجديدة ، ص . 167.
[4] ـ نفس المرجع، ص . 167.

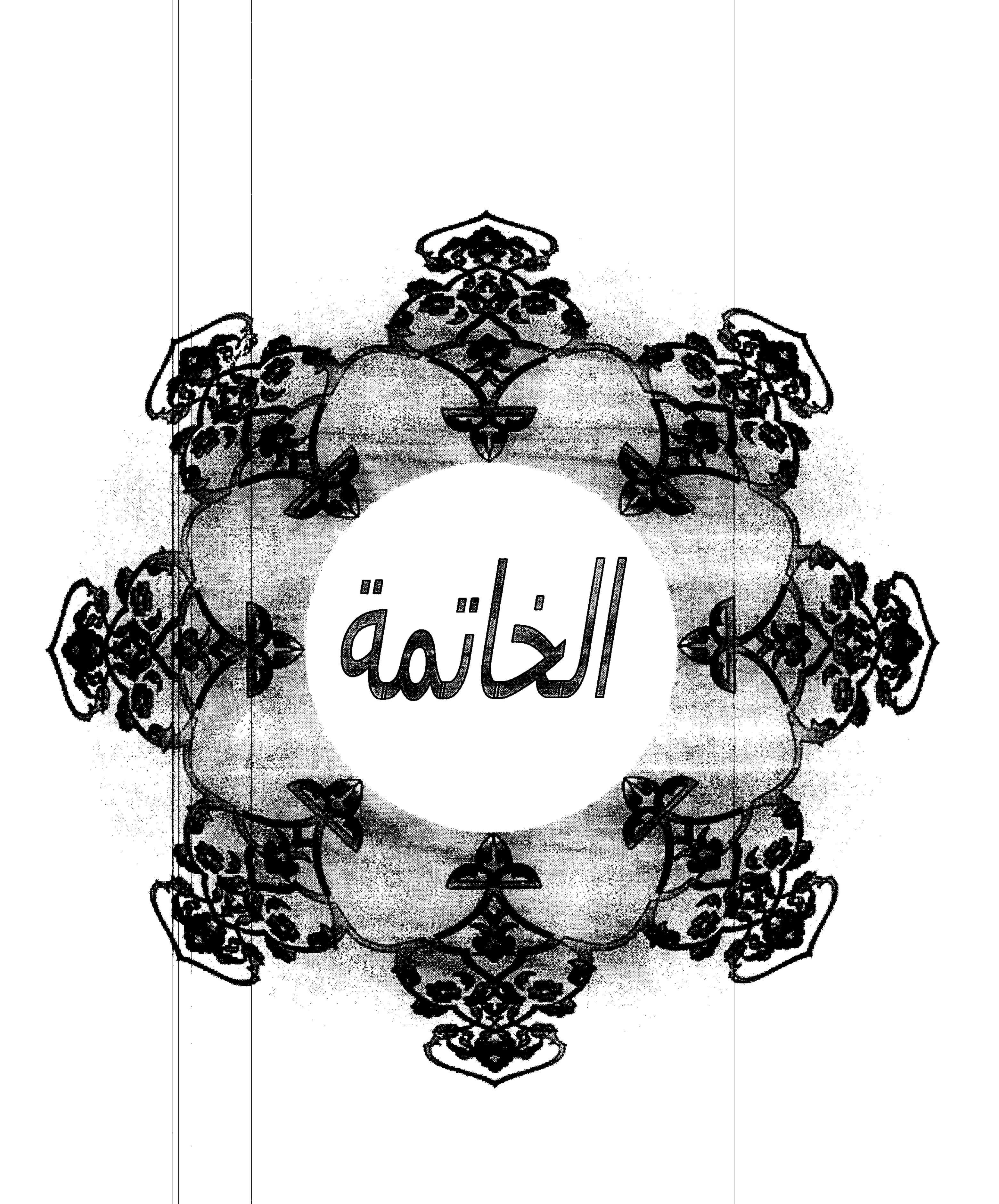
بن عبد الملك العشري و أمثالهم فأين ضاع دلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود؟ و إدا كانت الحكومة الأموية لم تضع بل دعت غلى الوضع فما الدليل على دلك؟.[1]

يزعم جولد زيهر أن الإسلام نما على يد رجاله و سبيل نمائه السنة، فإن ألوف الأحاديث التي ثبت أن الرسول نطق بها هي من صنع العلماء الدين أرادوا من أن يجعلوا الإسلام دينا كبيرا شاملا فخلقوا هده الأحاديث حيث نجده يقول:" إن تعاليم القرآن نجد تكملتها و استمرارها في مجموعة من الأحاديث المتواترة، و هي و أن لم ترو عن النبي مباشرة تعتبر أساسية لتميز روح الإسلام." فيرد عليه محمد الغزالي قائلا:" أن الأحاديث لم تصدر عن الرسول، حيث نجد الطعن ليس في الأحاديث فحسب، بل السنة ككل.[2]

هده هي ردود المسلمين على جولد زيهر و إن كان النطاق قد أضاف بنا عن عرضها كاملة، و الرد عليها جميعا كون أن هدا المستشرق اليهودي لم يترك مجالا يتعلق بالإسلام إلا و دس مخالبه فيه.

[1] - د/ مصطفى السباعي ، السنة و مكانتها في التشريع ، ص . 230.

[2] - محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين ، ط5 ، دار السلام للنشر و التوزيع ، ص . 13


الخاتمة

# الخاتمة:

الحمد لله الدي بيده تتم الصالحات و الصلاة و السلام على خير البر يات سيدنا محمد و على آله و زوجاته الطاهرات.

فبعد هدا المشوار الدي خضناه مع هدا المستشرق لكشف خباياه و مفترياته حول الإسلام بصفة عامة و السنة النبوية بصفة خاصة، و بعد هده الدراسة التي قمنا بها لبسط أقواله و أفعاله، و إن كان النطاق قد أضاق بنا عن عرضها و الرد عليها جميعا كون أن الموضوع يتطلب مجلدا ضخما لإستعابه من كل جوانبه لأننا كما نعلم أن هدا المستشرق اليهودي لم يترك مجالا يتعلق بالإسلام إلا و دس مخالبه فيه.

كما أن لخطورة الإستشراق آثر على حياة الإسلام و المسلمين لدا كان لابد على كل إنسان أن يتخد بعد الحلول التي تتيح له الفرصة للقضاء على هده الآراء التي سعت للقضاء على الإسلام و من بينها:

ـ على العلماء المسلمين الإهتمام بهده المواضيع و دلك لغرض كشف النقاب عن هدا المستشرق و أمثاله في مطاعنهم في مقاصد الشريعة و يضعون حدا للسموم التي ينفثها هؤلاء المستشرقين من خلال دراساتهم .

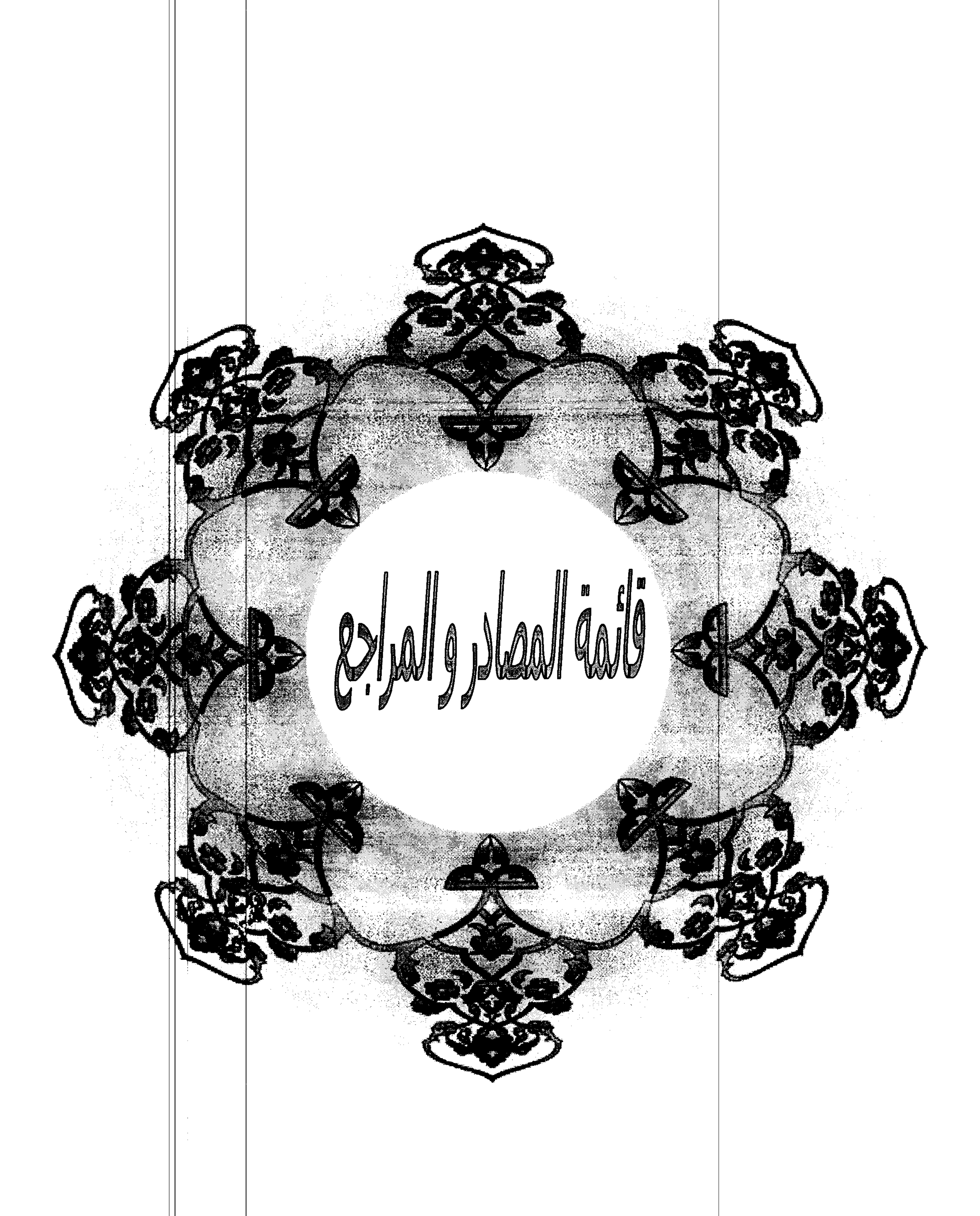
ـ التمسك بكتاب الله العزيز و سنة نبيه المصطفى.

وضع مدارس من أجل المحافظة على الشريعة من خلال تعريف الأمم بالدراسات الإسلامية ( رسوله قرآنه، عقيدته، شريعته، و حضارته و تاريخه).

ضرورة إنشاء أقسام الدراسات في الجامعات الإسلامية.

عودة الإنسان المسلم للدين و تعاليمه.

الدراسة العلمية الواعية للإستشراق عن طريق تأسيس أقسام متخصصة في كل الجامعات الإسلامية


قائمة المصادر والمراجع

## المراجع و المصادر:


**1**- أثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د/ محمد خليفة حسن أحمد، ط1 ، 1997

**2**- أراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، ط1 ،2009، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع.

3 - إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ط1، دار الإرشاد، بيروت.

4- الإستشراق بين الموضوعية و الإفتعالية، السامرائي قاسم، ط1، 1983 ، دار الرفاعي للنشر و التوزيع، الرياض.

**5**- الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي،د/ أحمد درويش، دط،2004 ، دار غريب القاهرة.

**6**- الإستشراق ( المفاهيم الغربية للشرق)، إدوارد سعيد، محمد عناني،2006 ، رؤية للنشر و التوزيع.

7- الإستشراق ( نشأته، تطوره و أهدافه)، إسحاق موسى الحسيني، 1387 ه - 1976 م، مطبعة الأزهر.

8- الإستشراق و التربية، د/ هاني محمد يونس بركات، ط1 ، 1424 ه - 2003 م، دار الفكر للنشر و التوزيع.

9- الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دط، دت، دار المعارف.

10- الإستشراق و المستشرقون، ( ما لهم و ما عليهم)، مصطفى السباعي، دط، دت، دار الوراق للنشر و التوزيع، المكتب الإسلامي.

11- الإستشراق اليهودي، د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبو دنيا، دط، 2008 ، دار الجامعة الجديدة.

12- الإسلام اليوم، مارسيل بوازار، دط، دت، بيروت،1986 .

13- الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق، د/ عبد الرحمن عميرة، ط1، 1999 ، دار الجيل.

14- بحوث في الإستشراق واللغة، د/ إسماعيل عميرة، ط2 ، 2003 ، عمان، دار وائل، 2002 .

15- تاريخ حركة الإستشراق، يوهان فوك، ط2، 2001 ، نقله عن الألمانية عمر لطفي، دار المدار الإسلامي.

16- التبشير و الإستشراق، ( أحقاد و حملات على النبي و بلاد الإسلام)، محمد عزت الطهطاوي، دط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

17- التراث العربي و المستشرقون، د/ عادل الآلوسي،ط1، 1422 ه - 2001 م ، دار الفكر العربي.

18- التصوف عند المستشرقين، د/ أحمد الشرباصي، دط، دت.

19- الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارث، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1967 م.

20- درس العربية في أوروبا المشرق، هنري لامنس، دط، 15 نوفمبر 1901 .

21- دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ط5 ، دار السلام للنشر و التوزيع.

22- رؤية إسلامية للإستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، ط2، 1411 ه ، المنتدى الإسلامي.

23- السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، د/ مصطفى السباعي، ط1، 2000 م، دار الوراق، المكتب الإسلامي.

24- طبقات المستشرقين، عبد الحميد صالح حمدان، دط، دت، مكتبة مدبولي.

25- العرب في التاريخ، برناد لويس، دطن دت.

26- علم الإستشراق و تاريخ العمران، جويدي، الزهراء ، الربيع الأول، 1347 ه.

27- الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالإستعمار الغربي، محمد البهى، ط10، مكتبة وهبة، القاهرة.

28- فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، د/ أحمد سمايلوفتش، دط، ( 1418 ه - 1998 م)، دار الفكر العربي.

29- القرآن الكريم في الخطب الإستشراقي في الرؤية و المنهج، حسان صالحي، ط1، 2010 م، دار الثقافة، بشار.

30- القول المفيد في دلة التوحيد، محمد بن عبد الوهاب بن علي اليمني، ط1، 1427 ه - 2006 م، مكتبة الإرشاد، دار إبن حزم.

31- لسان العرب، إبن منظور، دار المصادر، ط1، ( 1410 ه - 1990 م)، بيروت.

32- المستشرقون، محمد الحوماني، دط، 26 يوليو .

33- المستشرقون، نجيب العقيقي، ط1 ،دت، بيروت.

34- المستشرقون و التاريخ، د/ حسن الخربوطلي، دط، 1988 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

35- المستشرقون و السنة، دفاع عن الحديث النبوي، د/ سعد المرصفي، ط1، مكتبة المنار الإسلامية، كويت، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان.

36- المستشرقون و مشكلات الحضارة، د/ عفاف صبرة، جامعة الأزهر، دط، 1985 م، دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع.

37- المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي، د/ عجيل جاسم النمشي، ط1، 1404 ه - 1984 م، الكويت.

38- موسوعة المستشرقين، د/ عبد الرحمن بدوي، ط3، 1993 م، لبنان، در العلم للملايين.

39- نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة الإستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية، الحاج سالم ساسي، ج1، ط1، 2002 م، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا.

40- نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة الإستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية، الحاج سالم ساسي، ج2، ط1، 2002 م، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا.

41- الوجيز في علم الإستشراق، سعدون محمود الساموك، ط1، 1423 ه - 2003 م، دار المناهج للنشر و التوزيع.

42- الوحي من المنظور الإستشراقي و نقده، د/ محمود ماضي، ط1، 1416 ه - 1996 م، دار الدعوة للطبع و النشر والتوزيع.

**المجلات:**

43- الإستشراق و الإتجاهات الفكرية، د/ مازن المطبقاتي، مركز المدينة المنورة.

**44**- مصادر المعلومات عن الإستشراق و المستشرقون، علي بن إبراهيم النملة، الرياض، 1414 ه 1993 م، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثانية (16).

**45**- من إفتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، د/ عزيه طه ، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، السنة 6 ، العدد 73 .

46- نحن و المستشرقون، د/ حسين الهراوي، مجلة المعرفة، 1932 م.


فهرس الموضوعات